



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود

كلية الشريعة

قسم الثقافة الإسلامية

مفهوم التقليد

دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب

أحمد بن فهد بن أحمد المسعود

إشراف الدكتور

أحمد عبد الفتاح البري

الأستاذ المشارك في قسم الثقافة الإسلامية

الفصل الدراسي الأول

١٤٣٣ - ١٤٣٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وحبينا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، ثم أما بعد :

فإن الله سبحانه لما خلق الناس لم يتركهم هملًا بل أرسل إليهم رسلاً يعلمونهم أمور دينهم قال تعالى: {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلًّا يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥]. وأوجب سبحانه التأسى بهم، قال تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: ٧]. فكان لزاماً على كل مسلم أن يتأسى بتعاليم الدين التي تستقى من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

ومن لوازم الالتزام بهديه - ﷺ - ترك كل ما يتصادم مع الدين، وذلك يعني أن لا نفتني أثراً آثار الأمم الكافرة في مختلف مجالات الحياة فيما يناقض الدين أو يخالفه، كما لا يعني ذلك ترك كل ما لديهم مما لا يتصادم مع نصوص الوحيين، بل يجب على المسلمين الإعتناء بحضاراتهم ومستقبلهم والاجتهاد في ابتكار ما ينفعهم ويحفظ لهم مستقبلهم، ليتمكنوا بذلك من إيصال الرسالة الحمادية إلى أهل الأرض قاطبة، ومن ثم الرقي والتقدم في شتى المجالات، فإذا احتاجوا إلى مالدى الكفار من متطلبات الحياة المادية وكان في ذلك نفعاً للمسلمين ، فلا ضير في هذا، بعد أن يعرض ما يقتبس منهم على ميزان الشرع فما خالفه وجب رده ولفظه، وما لم يخالفه فيتأمل فيه ويزاد عليه ما أمكن ثم يعمل به.

وتسمى عملية الإقتباس هذا تقليداً، إلا أنه تقليدٌ في محله كما سيأتي في هذا البحث، والمشكلة تكمن فيما إذا كان الإقتباس مما لدى غير المسلمين يتعارض مع ما جاء به الدين، وهذا الذي انتشر وعم وطم في زماننا حتى تحول إلى داء عضال قد عمق يصعب انتشار المسلمين منه في مختلف المجالات الدينية والدنيوية.

فدخلت الأمة عبر بوابة التقليد إلى بلايا ورزايا بلي بها الكثيرون من أبناء المسلمين، لذا كان هذا البحث، لضبط هذا المفهوم وبيان أبعاده وآثاره، وما يرتبط فيه من مفاهيم.

ليتحلّى لدى القارئ معنى التقليد عند كل من يعنون به، ومعنى التقليد الذي نُعنى به، ومتى نشأ هذا المفهوم وكيف تطور وما المراحل التي مرّ بها .

وقد قمت في بحثي بتتبع أبعاد هذا المفهوم منذ نشأته إلى يومنا هذا، مع طرح الأمثلة التي سطرها التاريخ أو التي نعيشها اليوم مع ربط ذلك بالكتاب والسنة ، ليدرك القارئ أبعاد هذا المفهوم، ليحذر مما وقع فيه الآخرون عبر بوابة التقليد، سائلاً المولى القدير التوفيق والإعانة .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

في ظل الظرف التي تعيشها الأمة الإسلامية في العصر الحاضر، من تسلط الأعداء في الداخل والخارج، وسعيهم ليل نهار لتميع الهوية الإسلامية وطمسها بالهوية الغربية كما قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]. ويقول سبحانه {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَزُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧]. فهم في جهد متواصل وحرب ضروس في مختلف المجالات وبشتى الوسائل الفتاكة، وعبر سنين تسلسلت فيها الخطوات وتتابعت فيها الهجمات ضد الهوية الإسلامية، ومع ضعف الالتزام بشرع الله من قبل أبناء المسلمين وانبهارهم بالحضارات الغربية وتأثرهم بها، كان لذلك آثاراً جلية على الأمة في مختلف مجالاتها، علمياً وعملياً في السلوك والنظم والفكر الإسلامي، ولعل الجانب الأسوأ في هذا، ذاك التأثير الذي يسير وراءه المسلم طوعاً دون إكراه، بل بإعجاب وانبهار، دون أدنى تأمل أو تفكير في ذلك الذي انجر وراءه وهو ما نسميه "بالتقليد الأعمى" فدخلت الأمة عبر بوابة التقليد إلى غابة واسعة متشعبة في مختلف مجالات الحياة فكراً وواقع، فكان لا بد من ضبط هذا المفهوم الواسع وبيان ما يصلح اقتناؤه مما يجب لفظه واجتنابه مع بيان آثار ذلك على الفكر الإسلامي في هذا البحث التكميلي ليتبع كل منا صراط الله المستقيم تاركاً ما سواه كما أمرنا في قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]. سائلاً المولى الكريم التيسير والإعانة.

أهداف البحث:

- ١- بيان مفهوم التقليد كمصطلح.
- ٢- تتبع نشأة مفهوم التقليد وتطوره عبر العصور الإسلامية.
- ٣- بيان مفهوم التقليد في الإسلام.
- ٤- بيان ما يحرم وما يجوز أخذه من غير المسلمين.
- ٥- تحديد موقف الفكر الإسلامي من التقليد والتبعية.

٦- بيان المفاهيم ذات الصلة بالتقليد (التشبه، التبعية، المحاكاة).

٧- بيان خطورة التقليد وآثاره على ثقافة وحياة المسلمين.

الدراسات السابقة:

من أراد أن يكتب في التقليد فلا غنى له عن كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي تحدث فيه -رحمه الله- عن التشبه بالكفار وتحريم إتباعهم.

وقد بحثت عن الدراسات السابقة التي تحدثت عن التقليد الذي نحن ندرسه فوجدت دراستين:

١- دراسة قدمها د. ناصر العقل لنيل الشهادة العالية في مرحلة البكالوريوس في كلية الشريعة عام ١٣٩٤هـ بعنوان " التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة ". تطرق فيها إلى التقليد الأعمى للغرب وتاريخ ذلك، وقد مضى على الدراسة أكثر من ثلاثين سنة ، وأصبح التقليد الآن أكثر أثراً على الفكر الإسلامي ظهر ذلك جلياً في الميادين المختلفة داخل البلاد الإسلامية اليوم .

ثم إن الدراسة لم تجلّي الموضوع في أطره الواقعية التي نعيشها الآن، بل كان التركيز فيها على بيان السلسلة التاريخية التي يعيشها العصر الإسلامي في التقليد.

ثم إنها لم تركز على بيان أثر التقليد على الفكر الإسلامي، بل ركزت على بعض الجوانب كالجانب السياسي والاقتصادي والأخلاقي وخصوصاً الجانب الاجتماعي.

ونعزم في البحث التكميلي هذا أن يكون التركيز في بيان أثر التقليد على الفكر الإسلامي في ظل واقع نعيشه الآن.

٢- الدراسة الثانية، دراسة كتبها الطالب جمال سعد إبراهيم لاستكمال درجة الماجستير في كلية أصول الدين بجامعة النجاح بنابلس في فلسطين ، بعنوان " ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم " .

وقد كانت تلك الدراسة مقتصرة على جانبين الأول: حصر الآيات التي تدخل تحت التقليد والتبعية وتفسيرها وربطها بالموضع العام التقليد، الجانب الثاني: الحديث بإسهاب حول حال الكفار من الأمم السابقة في إتباعهم لأبائهم ومن سلفهم، والحديث عن الكفار بعد الإسلام وحالهم مع التقليد، وربط التقليد ببعض جزئيات شرائع الدين، كالتقليد في الطواف حول القبور، والتقليد في إنكار البعث... الخ. فكان تركيز الباحث على جانبي التفسير والعقيدة فموضوع

البحث يدل على هذا وهو : "ظاهرة التقليد في القرآن الكريم" ، وسنركز في هذا البحث عن التقليد في إطار الحديث عن الفكر الإسلامي في عصرنا الحاضر وبيان مدى أثر تلك التبعية على الهوية الإسلامية المعاصرة.

٤- هناك من كتب عن التقليد ضمناً عند الحديث عن الصراع بين الشرق والغرب، فيتكلم عن التقليد أو الانهزامية أو التبعية.

٥- هناك من كتب في التشبه بالكفار ، وتحريم ذلك ، وربط ذلك بالجانب العقدي.

٦- هناك من تكلم عن التقليد في غير الفكر الإسلامي، إذ يريدون به التقليد عند علماء أصول الفقه، والذي يأتي مرادفاً لكلمة الاجتهاد، كتقليد أو إتباع العامي للعالم أو للمجتهد.

منهج البحث:

يتطلب إعداد هذا البحث إتباع المنهج التكاملي الذي يبرز فيه المنهج التأصيلي والمنهج الاستقرائي عند الحديث عن مفهوم التقليد، والمنهج التحليلي عند بيان آثار مفهوم التقليد. مع مراعاة الجوانب الفنية وفق الآتي:

١. عزو الآيات إلى سورها، وكتابة الآيات حسب الرسم العثماني للمصحف الشريف.
٢. تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية المعتمدة مع بيان الحكم على الحديث فيما لم يخرج في الصحيحين أو أحدهما.
٣. التعريف بالأعلام الوارد ذكرها في البحث.
٤. التعريف بالأماكن، والكلمات، والمصطلحات الوارد ذكرها في البحث.
٥. توثيق النصوص المنقولة و عزوها إلى مصادرها.
٦. وضع فهرس متنوعة للبحث في الآيات، والأحاديث، والأعلام، والأماكن، والمصطلحات الغريبة، وثبت المراجع، وفهرس للموضوعات.

تقسيمات البحث: وتتضمن المقدمة، وأربعة مباحث والخاتمة والفهارس على النحو الآتي :

المقدمة وتشمل:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث.
- تقسيمات البحث، على النحو الآتي:

- المبحث الأول : دلالات مفهوم التقليد وتأصيله :

- المطلب الأول : الدلالات اللغوية.
- المطلب الثاني : الدلالات الاصطلاحية.
- المطلب الثالث : تأصيل مفهوم التقليد في الشرع.

- المبحث الثاني : نشأة وتطور مفهوم التقليد.

- المبحث الثالث : مفاهيم ذات صلة

- المطلب الأول : مفهوم التبعية.
- المطلب الثاني : مفهوم المحاكاة.
- المطلب الثالث : مفهوم التشبه.

- المبحث الرابع : آثار مفهوم التقليد .

- المطلب الأول : أثر التقليد على العقيدة والفكر الإسلامي.
- المطلب الثاني : أثر التقليد على السلوك والعادات والقيم.
- المطلب الثالث : أثر التقليد على الحضارات والدول.

- الخاتمة وتشمل :

- أهم النتائج والتوصيات .

- الفهارس وتشمل:

- فهرس الآيات القرآنية

- فهرس الأحاديث النبوية

- فهرس الآثار

- فهرس الأعلام

- فهرس الألفاظ

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

- _____

شكر وتقدير:

" أشكر المشايخ الفضلاء
في قسم الثقافة الإسلامية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وأخص بالشكر الشيخ د. أحمد البري
المشرف على البحث والشيخ أ. د عبد الله
العمرو
مناقش البحث".

إهداء

أهدي هذا العمل
إلى "والديّ" فلقد كانا
خير معين في أمر ديني ودنياي.

المبحث الأول : دلالات مفهوم التقليد وتأصيله

- المطلب الأول : الدلالات اللغوية.
- المطلب الثاني : الدلالات الاصطلاحية.
- المطلب الثالث : تأصيل مفهوم التقليد.

المطلب الأول : الدلالات اللغوية.

مفهوم التقليد في اللغة : التقليد في اللغة مصدر للفعل الرباعي "قلد" بتشديد اللام، ويأتي في اللغة على معان عدة، منها:

١- الإحاطة :

اسم لما يحيط به الشيء، ومنه القلادة قال ابن منظور^(١) : "والقلادة: ما جُعِلَ في العُنُقِ يكون للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تُهْدَى ونحوها؛ قال في التهذيب: وتقليدُ البدنة أن يُجْعَلَ في عنقها عُرْوَةٌ مَزَادَةٌ أَوْ خَلْقٌ نَعْلٌ، فَيُعْلَمُ أَنَّهَا هَدْيٌ"^(٢) قال الله تعالى: {وَالْهَدْيِ وَالْقَلَائِدِ} [المائدة: ٩٧]. وقد ورد في الحديث عن عروة عن مروان والمسور بن مخرمة قالا (خرج النبي -ﷺ- عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي وأشعر وأحرم منها لا أحصي كم سمعته من سفیان حتى سمعته يقول لا أحفظ من الزهري الإشعار والتقليد فلا أدري يعني موضع الإشعار والتقليد أو الحديث كله)^(٣).

وفي الحديث الآخر عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (أهدى رسول الله -ﷺ- مرة إلى البيت غنما فقلدها)^(٤).

(١) ابن منظور هو : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي وقيل رضوان بن أحمد بن أبي القاسم ، المعروف بابن منظور، ولد سنة (٥٦٣٠هـ) أُلّف في جمع الأخبار وتبويبها : لسان العرب وهو من أهم المراجع في قواميس اللغة، وأخبار أبي نواس، وألّف في اختصار المطولات الأغاني، وتاريخ ابن عساکر، والعقد الفريد، توفي -رحمه الله- بمصر سنة (٧١١هـ) (انظر مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر، لابن منظور في مقدمة المحقق، الناشر : دار الفكر، ط ١، ١٤٠٤هـ : ج ١/ص ١١، وهديّة العارفين لإسماعيل باشا، الناشر: دار إحياء التراث العربي ببلنّان، ط ١، سنة ١٣٥١هـ: ج ٢/ص ١٤٢)

(٢) لسان العرب لابن منظور، ط ١ دار المعارف . مادة "ق.ل.د": ج ٥ ص ٣٧١٧

(٣) أخرجه البخاري [٣٩٢٦]

(٤) أخرجه مسلم [١٣٢١]

قال الزجاج ^(١): كانوا يُقلِّدون الإبل بلحاء شجر الحرم، ويعتصمون بذلك من أعدائهم، وَقَلَّدَتْ المرأة فَتَقَلَّدَتْ هي، قال ابن الأعرابي: قيل لأعرابي: ما تقول في نساء بني فلان؟ قال: قلائد الخيل أي هنَّ كرامٌ، ومنه تقليد الولاة الأعمال، وتقليد البدن: أن يُجعلَ في عنقها شعارٌ يُعلمُ به أنها هدي قال الفرزدق ^(٢) :

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمِصَلَّى * وَأَعْنَاقِ الْهَدْيِ مُقَلَّدَاتِ

ومنهم قولهم : وَقَلَّدَ الْحَبْلَ يَقْلِدُهُ قَلْدًا: فَتَلَهُ. وكلُّ قُوَّةٍ انْطَوَتْ مِنَ الْحَبْلِ عَلَى قُوَّةٍ، فَهُوَ قَلْدٌ، والجمع أَقْلَادٌ وَقُلُودٌ؛ قال ابن سيده: حكاه أبو حنيفة. وَحَبْلٌ مَقْلُودٌ وَقَلِيدٌ ^(٣).
ومنهم قولهم : "وَالْقَلْدُ" ويراد به لِيُ الْحَدِيدَةِ الدَّقِيقَةِ عَلَى مِثْلِهَا. وَقَلَّدَ الثَّلْبَ عَلَى الثَّلْبِ يَقْلِدُهُ قَلْدًا: أَي لَوَاهُ. وَسِوَارٌ مَقْلُودٌ، وَهُوَ ذُو قُلْبَيْنِ مَلُوبَيْنِ. وَالْبِرَّةُ الَّتِي يُشَدُّ فِيهَا زِمَامُ النَّاقَةِ لَهَا إِقْلِيدٌ، وَهُوَ طَرَفُهَا يُنْفَى عَلَى طَرَفِهَا الْآخَرَ وَيُلَوَّى لِيَا حَتَّى يَسْتَمْسِكَ ^(٤).

وقال في الصحاح ^(٥) : وَقَلَّدْتُ الْحَبْلَ أَقْلِدُهُ قَلْدًا، أَي فَتَلْتُهُ؛ وَالْحَبْلُ قَلِيدٌ وَمَقْلُودٌ. وَالْقَلْدُ أَيْضًا: السِّوَارُ الْمَفْتُولُ مِنْ فِضَّةٍ.

فكان المَقْلُدُ با تباعه لغيره مماثلاً في دوره، دور القلادة التي تحيط بالعنق، ودور الحبل الذي التف بعضه على بعض، ويدخل في هذا المعنى معظم حالات التقليد وهي عندما يكون المقلد يتبع غيره دون إدراك أو تأمل لما يفعله با تباعه لغيره .

(١) الزجاج هو : أبو اسحاق إبراهيم محمد بن السرى البغدادي ، المعروف بالزجاج ، عالم نحوي له العديد من المصنفات في النحو منها : من الكتب الآمالي في النحو سيبويه، وما ينصرف وما لا ينصرف، والنوادر، معاني تفسير القرآن وإعرابه . توفي سنة ٣١١هـ . (انظر : هدية العارفين : ٥/١) .

(٢) الفرزدق هو : شاعر من العصر الأموي اسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته أبو فراس وسمي الفرزدق لضخامة وجهه ومعناها الرغيف، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم سنة ٢٠هـ وتوفي سنة ١١٤هـ ، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء. (انظر : شرح ديوان الفرزدق ، تحقيق إيليا الجاوي، الناشر : دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة بلبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ ج ١ ص ٧)

(٣) لسان العرب: مادة "ق.ل.د." : ٥ / ٣٧١٨

(٤) نفس المرجع السابق: مادة "ق.ل.د." : ٥ / ٣٧١٧

(٥) مختار الصحاح ، للرازي ط ١ مكتبة لبنان مادة "قلد" ص ٢٢٩

٢- الغطاء : قال في لسان العرب ^(١) ويقال: أَقْلَوْدَه النعاسُ إذا غشيه وغلبه؛ قال الراجز:

والقومُ صَرَعَى مِنْ كَرَى مُقْلَوْد .

ومنه قولهم: وأَقْلَدَ البحرُ على خلق كثير: ضمَّ عليهم أي غرَّقهم، كأنه أُغْلِقَ عليهم وجعلهم في جوفه؛ قال أمية بن أبي الصلت:

تُسَبِّحُهُ النَّيْنَانُ وَالْبَحْرُ زَاخِرًا * * * وما ضَمَّ مِنْ شَيْءٍ، وما هُوَ مُقْلَدٌ

وقال في القاموس المحيط ^(٢) ، وأَقْلَدَ البحرُ عليهم: أَعْرَقَهُمْ، ويقال قلد الزرع: أي سقاه. فهو قد غطاه بالماء .

فكأن المتبع لغيره قد غطى على فكره وعقله في الأمر الذي تبعه، هذا وجه وله وجه آخر وهو أن يكون المتبع لأمر ما، قد تبعه حتى عرف به، فيكون غطى على سمعته فيقال مثلاً فلان علا عليه الزهد، فكان الزهد قد بلغ لديه مبلغاً صار يعم حياته، فكذلك المتبع لأمر ما إذا انغمس فيه وأسرف على نفسه فيه فيدخل فيه هذا المعنى، لذا قال في لسان العرب ^(٣) : أَقْلَوْدَه النعاسُ إذا غشيه وغلبه .

٣- حمل الشيء : قال في الصحاح ^(٤) ،: ويقال: تَقَلَّدْتُ السيفَ . ومُقَلَّدُ الرَّجُلِ: موضعُ

بِحِجَادِ السيفِ على مُنْكِبِهِ .

وقال في لسان العرب ^(٥) : وتَقَلَّدَ الأمرَ: احتمله، وكذلك تَقَلَّدَ السَّيْفَ؛ وقوله:

يا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ عَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحًا

أي وحاملاً رُحًا؛ ومُقَلَّدُ الرَّجُلِ: موضعُ بِحِجَادِ السيفِ على مُنْكِبِهِ .

وقد ورد في الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- (أن رسول الله ﷺ - قدم المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم إنه أرسل

(١) لسان العرب مادة "ق.ل.د": ٥ / ٣٧١٩

(٢) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي، ط ٨ مؤسسة الرسالة، مادة "ق.ل.د" ص ٣١٢

(٣) لسان العرب مادة "ق.ل.د": ٥ / ٣٧١٨

(٤) مختار الصحاح مادة "ق.ل.د": ٢٢٩

(٥) لسان العرب مادة "ق.ل.د": ٥ / ٣٧١٨

إلى ملا بني النجار فجاءوا متقلدين بسيوفهم... الحديث (١)

فكان المتزعم لأمر ما يسمى متقلداً، فالرجل الذي تراه من بعيد قادم ومعه ضمن متاعه سيفاً، فلا يقال عليه متقلداً سيفاً، لكن إن ظهر ذلك عليه أي بمعنى توشح سيفه، يقال عنه: متقلداً. فقد يقال لمن يتبى فكرة أو مذهباً حتى سخر نفسه لها فيكون متقلداً لها، كالذي يتوشح سيفاً.

٤- الإلزام : يقال : قلده الأمر ألزمه إياه ، قال في لسان العرب (٢) : وَقَلَّدَهُ الْأَمْرَ: أَلَزَمَهُ إِيَّاهُ، وَهُوَ مَثَلٌ بِذَلِكَ.

فقد يكون المقلد لغيره ملزماً فيما قلده، فالشعوب أحياناً قد يفرض عليها حكماً أو مذهباً معيناً، فيكون المقلد مكرهاً غير مخير، وهذا من معاني التقليد في اللغة، فيقال : قلده الأمر، أي ألزمه إياه، وقد يدخل في هذا قولهم تقليد الولاة الأعمال، خصوصاً إذا كان المولى على المنصب ملزماً غير مخير.

٥- التناوب والجمع : قال في لسان العرب (٣) : قَلَّدَ: قَلَّدَ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ يَقْلِدُهُ قَلْدًا: أَي جَمَعَهُ فِيهِ؛ وَكَذَلِكَ قَلَّدَ الشَّرَابَ فِي بَطْنِهِ. وَالْقَلْدُ: جَمْعُ الْمَاءِ فِي الشَّيْءِ. يُقَالُ: قَلَّدْتُ أَقْلِدُ قَلْدًا أَي جَمَعْتُ مَاءً إِلَى مَاءٍ، أَمَا التَّنَاوُبُ فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: هُم يَتَقَالِدُونَ الْمَاءَ أَي يَتَنَاوَبُونَهُ.

وقال في القاموس المحيط (٤) : وَيَتَقَالِدُونَ الْمَاءَ: أَي يَتَنَاوَبُونَهُ.

وفي حديث عبد الله بن عمرو: أَنَّهُ قَالَ لِقَيْمِهِ عَلَى الْوَهْطِ: إِذَا أَقَمْتَ قِيْلِدَكَ مِنَ الْمَاءِ فَاسْقِ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبُ؛ أَرَادَ بِقَلْدِهِ يَوْمَ سَقِيهِ مَالَهُ أَيَّذَا سَقِيَتْ أَرْضُكَ فَأَعْطِ مِنْ يَلِيكَ (٥).

فالتناوب من المعاني المهمة في التقليد فالعادات والأفكار التي هي محل التقليد، يتم تناوبها وتوارثها بين الأجيال، فتنتقل من جيل إلى جيل، لذا فإن بعض العادات والتقاليد تعيش في الناس لربما مئات السنين.

(١) أخرجه مسلم [٥٢٤].

(٢) لسان العرب مادة "ق.ل.د": ٥ / ٣٧١٩

(٣) نفس المرجع السابق

(٤) القاموس المحيط، مادة "ق.ل.د": ٣١٢

(٥) لسان العرب مادة "ق.ل.د": ٥ / ٣٧٢٠

٦ - التتابع : قال في لسان العرب ^(١) : والقِلْدُ: سَقِي السماء. وقد قَلَدْتُنَا وسَقَتْنَا السماء قَلْدًا في كل أسبوع أي مَطَرْتُنَا لوقت. وفي حديث عمر: أنه استسقى قال: فَقَلَدْتُنَا السماء قَلْدًا كل خمس عشرة ليلة أي مَطَرْتُنَا لوقت معلوم، وهو مأخوذ من قَلَدِ الحُمَى وهو يوم نَوْبِهَا. قال الأزهري: فالقِلْدُ المصدر، والقِلْدُ الاسم، والقِلْدُ يوم السَّقْيِ، وكذلك القِلْدُ يوم وِرْدِ الحُمَى. فعبر عن الحمى بالقِلْدُ لأنها تُمْرَضُ من تأتبه يوماً إثر يوم . لذا قال الصحاح ^(٢) : والقِلْدُ بالكسر: يوم تأتي فيه الرِّبْعُ ومنه سميت قوافل جدَّة إلى مكة قِلْدًا. وسَقَتْنَا السماء قِلْدًا في كل أسبوع، أي مطرتنا لوقت.

ويقال: كيف قَلَدَ نخل بني فلان؟ فيقال: تَشْرَبُ في كل عشرٍ مرة ^(٣)

وقال في القاموس ^(٤) : وقلد الحُمَى فلاناً: أَخَذْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ.

ولعل الربط بين هذا المعنى وبين التقليد أن المقلد يتخذ من الأمر الذي يتبعه عادةً فيه يسير خلف ما اتبعه كل يوم .

٧ - السبق: قال في القاموس المحيط ^(٥) : والمَقْلَدُ، كَمَعْظَمٍ: مَوْضِعُهَا، والسَابِقُ من الخَيْلِ.

وقال في الصحاح ^(٦) : والمَقْلَدُ من الخيل: السَابِقُ يُقْلَدُ شيئاً لِيُعرفَ أَنَّهُ قد سبق. وقال في لسان العرب ^(٧) : والمَقْلَدُ من الخيل: السَابِقُ يُقْلَدُ شيئاً لِيُعرفَ أَنَّهُ قد سبق، والمَقْلَدُ: سابق، والمَقْلَدُ مسبق .

فالمَقْلَدُ من الخيل السابق يُقْلَدُ شيئاً لِيُعرفَ أَنَّهُ قد سبق فيكون المَقْلَدُ دُ قَد سبق بفكرته وعمله من يقلده، فالمَقْلَدُ دُ سَابِقٌ، والمُقْلَدُ دُ مسبق.

٨ - المحاكاة والإتباع من غير تفكير ^(٨) . وهذا المعنى يتفق مع معنى الإحاطة، فالمقلد في

(١) نفس المرجع السابق : ٥ / ٣٧٢٠

(٢) مختار الصحاح مادة "ق.ل.د" : ٢٢٩

(٣) لسان العرب مادة "ق.ل.د" : ٥ / ٣٧١٨

(٤) القاموس المحيط ، مادة "ق.ل.د" ص ٣١٢

(٥) نفس المرجع السابق ص ٣١٢

(٦) مختار الصحاح مادة "ق.ل.د" : ٢٢٩

(٧) لسان العرب مادة "ق.ل.د" : ٥ / ٣٧١٩

(٨) انظر: المعجم الوسيط ط٤ مكتبة الشروق الدولية مادة "ق.ل.د" ص ٧٥٤

كثير من حالاته يحاكي من يقلده، ويفعل مثل فعله من غير تفكير ولا نظر ولا تأمل ولا إدراك لما يتبعه .

٩- التقليد بمعنى في التقليد الدين ، قال في لسان العرب ^(١) : يُقَالُ قَلَّدَهُ قَلَادًا وَتَقَلَّدَهَا؛ ومنه التقليدُ في الدين .

مع التنبيه على المراد بالتقليد في الدين هنا، أي تقليد المسلم العامي للعالم في المسائل الاجتهادية في ما ليس بحجة، وليس يعني الإيمان بالله وبما جاء الأنبياء، فالإيمان بالله وبما جاء به الأنبياء لا يسمى تقليداً بل هو اتباعاً ^(٢).

هذه هي معاني التقليد في اللغة، ولعل أقرب المعاني إلينا عند حديثنا عن مفهوم التقليد في الفكر الإسلامي، وإن كانت جميعها تدخل فيه إلا أن أقربها، هما التقليد بمعنى الإحاطة والمحاكاة، ذلك أن الشخصية الإسلامية التي وقعت بمخالفة صريحة للإسلام من خلال التقليد، هي في الواقع محاكية لغيرها دون إدراك لما تفعله، فالشعارات المزيفة ترفع، والشعوب الإسلامية تنجرف ورائها غير مدركة لحقيقتها التي تتنافى مع صريح الدين وصحيحة .

ومن هنا يتبين لنا أن عملية التقليد تتكون من :

- ١- المقلد : بكسر اللام وتشديدها، وهو المتبع لغيره سواء كان ذلك التقليد محموداً أو مذموماً .
- ٢- المقلد : بفتح اللام وتشديدها، وهو صاحب الفكرة المتبعة، سواء دعا لفكرته، أو اتبع من غير إرادته بل قد يكون معارضاً لا تبعه .
- ٣- التقليد : وهي موضوع الإتيان أي " الفكرة المتبعة " سواء كانت عادة، أو سلوكاً، أو مذهباً، أو ديانة، أو اعتقاداً، أو ما يتعلق بحياة الإنسان وواقعه في مختلف مجالات حياته .

(١) لسان العرب مادة "ق.ل.د." : ٥ / ٣٧١٩

(٢) انظر : ص ٣٠-٣٣ في نفس البحث .

المطلب الثاني : الدلالات الاصطلاحية.

التقليد في الاصطلاح :

١- التقليد في الشرع : يعرف التقليد عند الأصوليين، ويراد به عندهم تقليد العامي للمجتهد من علماء المسلمين، أو تقليد المجتهد لمن هو أعلى منه، فيما ليس بحجة، أي ليس مما ورد فيه نص القرآن أو السنة، ويراد بذلك أن يتبع المسلم رأي العلماء في الأمور التي لم ينص عليها في الكتاب أو السنة، فيقوم المجتهدون من العلماء بالإفتاء في مسألة أو أكثر، فيتبعهم المسلمون في ذلك الأمر فيسمى علماء الأصول اتباعهم ذلك " تقليداً " كما قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣]. وقوله تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة: ١٢٢].

وقد عرّف التقليد بهذا المعنى بتعاريف عدة كلها تدور حول المعنى الذي ذكرناه، منها:

معرفة الجرجاني^(١): بأنه عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل^(٢).

وعرفه ابن الحاجب^(٣): بأنه العمل بقول غيرك من غير حجة، وليس الرجوع إلى قوله -ﷺ- وإلى الإجماع^(٤).

وعرفه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٥) فقال: الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله^(١).

(١) الجرجاني الشريف : علي بن محمد أبو الحسن الحنفي، فارسي الأصل ولد بجرجان سنة ٧٤٠ وتوفي فيها سنة ٨١٦، اشتهر بالتحقيق، حقق أكثر من ٢٠ كتاباً له العديد من المصنفات من بينها تفسير سورتي البقرة ال عمران ، وله كتاب التعريفات (انظر: إلى هدية العارفين : ٧٢٨/١).

(٢) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ط ١ المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ، ص ٢٩

(٣) ابن الحاجب هو : جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المالكي النحوي المعروف بابن الحاجب، كردي عاش في مصر ولد سنة (٥٧٠ هـ) وتوفي بالإسكندرية (٦٤٦ هـ) له العديد من المصنفات في النحو والفقه وأصوله وعلم الجدل . (انظر : هدية العارفين : ٦٥٤/١)

(٤) منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، لابن الحاجب، ط ١ مطابع السعادة بمصر، ص ١٦٣

(٥) هو الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، صاحب تفسير أضواء البيان ولد سنة ١٣٢٥ عاش

يقول الشيخ الشنقيطي مبيّناً معنى ذلك : إن كل حكم ظهر دليhle من كتاب الله ، أو سنة رسوله - ﷺ - أو إجماع المسلمين ، لا يجوز فيه التقليد بحال ؛ لأن كل اجتهاد يخالف النص ، فهو اجتهاد باطل ، ولا تقليد إلا في محل الاجتهاد ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة ، حاكمة على كل المجتهدين ، فليس لأحد منهم مخالفتها كائناً من كان (٢) .

٢- التقليد عند الفلاسفة :

يعبر الفلاسفة القدامى عن التقليد بلفظ المحاكاة ، فقد ورد في معجم (Petit Larousse) أن كلمة المحاكاة عند الفلاسفة مرادفةً لكلمة التقليد ، "فالمحاكي" : نعت من طبيعة المحاكاة ، والمحاكاة: اسم مؤنث من فعل يحاكي ، ومادة تحاكي مادة أغنى ك"البرونز" (٣) المقلد والجواهر المقلدة ، والتقليد: هو العمل أو المحاولة بصعوبة عمل تماماً ما يفعله شخص أو حيوان ما ، كتقليد الأصدقاء ، والتقليد هو إعادة شيء تماماً كتقليد إماء ، والأخذ كنموذج مثل تقليد الأسلاف ، والبحث عن أخذ أسلوب أو مادة كاتب أو رسام ، والتقليد أيضاً هو الحصول على التأثير نفسه ، فالنحاسي الذهبي تقليد للذهب" (٤) .

التقليد عند أفلاطون (٥) : يعتبر أفلاطون هو مؤسس نظرية المثل الأفلاطونية والتي يرى من خلالها أن الوجود ينقسم إلى ثلاث دوائر: فالدائرة الأولى هي دائرة المثل و المدركات العقلية وهي دائرة الحقائق الكلية ، والدائرة الثانية هي دائرة العالم المحسوس والطبيعة والواقع ، والدائرة

= وتوفي بالمدينة سنة ١٣٩٣هـ (أضواء البيان في مقدمة المشرف بكر أبو زيد) -رحمهما الله- .

(١) أضواء البيان في تفسير سورة محمد ، ط ١ دار عالم الفوائد ج ٧ ص ٥١٧

(٢) نفس المرجع السابق : ٥٨١/٧

(٣) نوع من أنواع المعادن ، يصنع تقليداً للذهب .

(٤) دراسة نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر ، مديونة صليحة رسالة ماجستير غير مطبوعة ص ٤ ، نفاً من القاموس الأجنبي :

« Produire le même effet que le cuivre doré imite l'or. » / « Petit Larousse » Pierre Larousse – libraire Larousse – Paris – France – 1978- page 462.

(٥) أفلاطون هو : عالم وفيلسوف يوناني شهير اسمه : أرسطوقليس لكنّه لُقّب بأفلاطون واشتهر بما ، أخذ من سقراط وأشهر تلامذته

"أرسطو" لاقت فلسفته رواجاً في الفكر الأوربي ، وعند الفلاسفة المسلمين كابن رشد وابن سينا والفارابي وغيرهما ، ولد سنة

(٤٢٨ق.م) ولد قرب أثينا ، وعاش فيها ، وتوفي سنة (٣٤٧ق.م) (انظر : نوابغ الفكر الغربي أفلاطون ، لأحمد الأهواني: ص

٤٠-٤) .

الثالثة هي دائرة الفنون، والعلاقة التي تربط بين هذه الدوائر الثلاث هي علاقة محاكاة وتقليد^(١). فهو يقول : أن لكلّ شيء محسوس حقيقةً معقولة، والمعقولات هي الأصل في المحسوسات، وإذا كانت المحسوسات تُدرك بالبصر، فالمعقولات -أيضاً- لها وجود مستقل عند الإله ويسميتها المثل، وهي لا تدرك بالبصر لكن يمكن إبصارها بتوجيه النفس نحو إدراكها، وهذا ما يقصده أفلاطون في تعريفه للفلسفة أنّها: «رؤية الحق أو البصر بالمثل» مما يعني أن هذه النظرية أساس لفلسفته .

وعليه فأفلاطون يفسر بالمحاكاة والتقليد كل حقائق الوجود ومظاهره، وأن الحقيقة في المثل أو الصور الخالصة لكل أنواع الوجود هي المحاكاة والتقليد لما في المثل .

لقد قسم أفلاطون الكون في ضوء فلسفته المثالية إلى عالم مثالي كامل من صنع الإله يضمن الحقائق المطلقة، والتي لا يمكن لمسها في الواقع، وعالم محسوس طبيعي مادي هو عالم الموجودات، والذي هو ظل أو صورة منقولة من عالم المثل، ومعنى ذلك أن العالم الطبيعي الموجود هو عالم مشابه ومماثل لعالم المثل فهو محاكاة له وصورة عنه، وذلك ما سماه أفلاطون التقليد الأول أي صورة المثل في الواقع^(٢) .

ولشرح ذلك يمكن تقديم مثال الشجرة فالشجرة الموجودة في الواقع أي في العالم الطبيعي هي صورة للشجرة الأولى الموجودة في عالم المثل التي خلقها الإله، أي إنها تقليد للمثال الأول، فإذا رسم الفنان (الرسام) شجرة مماثلة، فإنه سينقلها عن الشجرة الثانية التي هي بدورها صورة عن الشجرة الأولى التي عند الإله، فرسم الرسام للشجرة يمكن أن يطلق عليه " تقليد التقليد " أو محاكاة المحاكاة؛ لأنه حاكي الشجرة الثانية التي هي بدورها محاكاة للشجرة الأولى في عالم المثل، ومادام العالم الطبيعي الموجود هو مشابه ومماثل لعالم المثل، فهو محاكاة له وصورة عنه. لذا فإن أفلاطون يرى أن كل ما هو موجود في عالم الحس ليس إلا محاكاة لعالم الصور^(٣) .

(١) انظر: نوايغ الفكر الغربي: أفلاطون د. أحمد فؤاد الأهواني، الناشر: دائرة المعارف، ط ٤، ١٤٠١هـ: ١٠٧-١٠٩

(٢) انظر: النقد المسرحي عند اليونان - د. عطية عامر - ط ١ المطبعة الكاثوليكية بيروت، ص ٨٤

(٣) نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر: ١٦ .

التقليد عند أرسطو^(١) : أما أرسطو فيختلف في نظريته للتقليد والمحاكاة عن أستاذه أفلاطون فهو قد أخذ موقفاً مختلفاً من مفهوم المحاكاة والتقليد الذي اعتبره غريزة طبيعية لدى الإنسان، ورأى أن فيها أساساً لكل عمل فني (الشعر الرسم وغيره من الفنون) إذ يقول: " إن شعر الملاحم وشعر التراجيديا وكذلك الكوميديا والشعر المدائحي كلها أنواع من أنواع المحاكاة".^(٢) .

والحقيقة أن مفهوم المحاكاة عند أرسطو يبقى مفهوماً عاماً، فهو لم يطرح عملية التقليد المباشر للواقع من خلال المحاكاة كما هي الحال عند أفلاطون، ولم يتكلم كذلك عن الإيهام بالواقع، وإنما تناول ماهية المحاكاة من خلال تفصيله لبناء الفنون، ومن خلال تحليله لتأثيرها على المشاهد، فهو أخذ مبدأ المحاكاة عن أفلاطون، إلا أنه جعل المحاكاة للشخصيات والانفعالات والأفعال، وليست محاكاة للأشياء المحسوسة، والتي كما يقول أفلاطون أن لها أصل في المثل عند الآلهة، فيقول أرسطو إن لدى الإنسان ما يمكنه من القوى العقلية لينتج أو ليصور الشيء على أحسن ما هو عليه أو يضيف عليه شيئاً لم يكن فيه، فيكون ذلك إبداعاً وابتكاراً جديداً من الإنسان، فالشجرة التي يقوم الرسام برسمها فهو يضيف عليها ما يزيد من جمالها، وقد يبتكر شجرة جديدة ليس لها أصل في الواقع، إنما الرسام هو الذي أبدعها وابتكرها فكان ابتكاره هذا تقليداً لكنه ليس بالمعنى الذي يراه أفلاطون، فهو تقليد مع محاكاة يطرأ عليهما إبداع الإنسان، وكذلك الحال عند حديثه عن الأدب والفن فهو يرى أن ما يقوم به الشاعر من وصف للطبيعة التي يعيشها فإن ذلك يعتبر تصويراً أدبياً يظهر فيه إبداع الإنسان، وهذا مفهوم التقليد والمحاكاة عند أرسطو.

كما أن لدى أرسطو نقطة مهمّة في نظريته للتقليد، وهي أنه : " يعتقد أن التقليد هو الطبيعي للجنس البشري، ويشكل واحداً من مزايا البشر على الحيوانات"^(٣) ، كما أن ذلك لا يعني عدم

(١) أرسطو : الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس ، ولد سنة (٣٨٤ ق.م) أحد أشهر تلاميذ أفلاطون تعلم عنده منذ الصغر حتى مات أفلاطون، وأثرى فلسفة معلمه حتى يكاد اسمه لا يفارق اسم أفلاطون عند المهتمين بعلم الفلسفة ، عاش معظم حياته في أثينا وتوفي فيها سنة (٣٢٢ ق.م) (انظر: أرسطو فن الشعر، ترجمة إبراهيم حماد في المقدمة ص (١٥-١٨).

(٢) التراجيديا والفلسفة والتركاو فمان، ترجمة كامل يوسف ط ١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ٦١

(٣) انظر : التراجيديا والفلسفة : ٦١-٦٦

وجود التقليد عند الحيوانات لكن الفرق بين وجوده عند الحيوان والإنسان هو نقطة الابتكار فيه والتجديد والإبداع .

ومن هنا تجدر أهمية نقطة إبداع الإنسان عند أرسطو، إذ أن ذلك يعني أن الحضارات والصناعات هي منطلق التطوير والإبداع الذي يمكن أن يضاف إلى ما وصل إليه الآخرون.

ومما سبق يظهر لنا كيف رأى الفلاسفة القدامي مفهوم التقليد، حيث شكل مفهوم التقليد لديهم نظرة مهمّة اتكأ عليها جزء كبير من فلسفتهم، ذلك أن نظرية المثل التي قامت عليها فلسفة أفلاطون، تقول بأن المحسوسات الموجودة حولنا إنما هي تقليد لما في المثل ، فكان كل ما حولنا عند أفلاطون مرتبط بالتقليد والمحاكاة، ورأينا كيف أن أرسطو أضاف عليها، وجعل التقليد هو الطبيعي للجنس البشري، وأنه من المزايا التي تعلق بالإنسان عن غيره من المخلوقات .

٣- التقليد في علم الاجتماع:

للتقليد في علم الاجتماع تعريفات مختلفة تدور معظمها حول أن الفرد في المجتمع ليس له مفر من التقليد في حياته، فكل فرد يقلد الآخر، وكل جيل يأخذ جيل، فالابن يقلد أباه في عاداته ولباسه ولغته، وهكذا الحال مع سائر من في المجتمع لذا فعاداتهم تدوم فيهم ويتوارثونها بينهم . ويعرفه البدوي بأنه: سلوك أو نمط سلوكي يقبله المجتمع من دون دوافع أخرى عدا التمسك بسنن الأسلاف، ويختلف التقليد عن العرف الذي يستند إلى قوة الجزيء لمن يخرج عليه^(١).

ويعرفه أيضاً بأنه: انتقال الظواهر النفسية من شخص إلى آخر، أي أن التقليد هو محاكاة لألوان سلوك الغير، وإذا كانت الرغبة في التقليد صريحة كان التقليد مقصوداً، وإذا كانت الرغبة غير صريحة أو لا شعورية كان التقليد غير مقصود^(٢) . فهو القيام بعمل ما عقب مشاهدة شخص آخر يقوم به، حيث تسترشد العملية في محاكاة العمل المشاهد، والنسج على منواله واقتفاء خطواته .

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية د. أحمد زكي بدوي ط ١ ، الناشر : مكتبة لبنان ١٩٨٢ م ، ص ٤٣٧

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٠٧

والتقليد هو : عملية تغيير سلوك شخص ما نتيجة تعرضه أو مشاهدته سلوك شخص آخر، وهي عملية تحدث للإنسان في مختلف مراحل حياته، ويمكن أن يكون التقليد حياً مباشراً كما في حالة التعرض للنموذج Model مباشرة، أو رمزياً Symbolic كما في حالات القراءة ومشاهدة الأفلام^(١) .

التقليد عند لمبيت وسبنجلر (Liebert & spiegler) يريان : أن التقليد هو عملية تعلم من خلال الملاحظة، حيث تمر هذه العملية بثلاث مراحل أساسية: مرحلة التعرض للنموذج أو السلوك، ومرحلة اكتساب السلوك وتعلمه، مرحلة تقبل السلوك^(٢)

التقليد عند باندورا : يعتبر باندورا (Bandura) التقليد أو المحاكاة آلية أساسية لبناء الشخصية المستقلة من عمر (٢ - ٤ سنوات) ، فالطفل في هذه السن يكتسب المهارات المختلفة من خلال محاكاته لسلوك الآخرين المحيطين به، ومتى ما نجح في اكتساب هذه المهارات، فإنه يبدأ في استخدامها في مواقف مختلفة لتحقيق أهداف متنوعة^(٣) .

ويعرفه ابن خلدون^(٤) بأنه : " اتباع الغالب للمغلوب ورغبته في الإقتداء به في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبدأً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكما الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقاداً، فانتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت به، وذلك هو الإقتداء " ^(٥).

(١) مقال في التقليد في علم الاجتماع ، د.عبد المجيد نيازي على الرابط التالي :

<http://faculty.imamu.edu.sa/css/atniyazi/Pages/3b1f0538-9f9c-456e-a7b5-c5a003a2e4ef.aspx>

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) نظرية باندورا للتعلم الاجتماعي بالملاحظة ، يحي الرفاعي ، بحث ضمن برنامج الدكتوراه - قسم علم النفس ، في الكلية المتوسطة بأبها : ص ١٢

(٤) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الأشبيلي الحضرمي، المؤرخ المالكي، ولد في تونس سنة (٧٣٢) وتوفي بالقاهرة (٨٠٨) ، له العديد من الشروح والمصنفات في الفقه والتاريخ وغيره ، من بين مصنفات مقدمة بن خلدون (انظر : هدية العارفين: ١/٥٢٩). عدّه البعض مؤسساً لعلم الاجتماع .

(٥) مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشداددي، ط١ الدار البيضاء، ج ١ ص ٢٤٢

٤- التقليد في علم النفس:

عُرف مفهوم التقليد في علم النفس وفقاً للبعد النفسي السيكيولوجي الذي يهتم به علماء علم النفس بحكم التخصص، فنظروا للتقليد بأنه عملية نفسية، تقوم على أن الإنسان الطبيعي منذ ولادته وهو ينظر إلى من حوله ويحاكيهم، فالإنسان المتوازن يتأثر ويؤثر، وهذا يعني أن التقليد يمكن أن يكون طبيعياً، حيث يتأثر الإنسان بالأشخاص من حوله بأفكارهم وسلوكهم وتصرفاتهم وثياهم وغير ذلك، وهذا يساهم في قبوله في الجماعة التي ينتمي إليها ويعزز مكانته فيها، ويعتبر ذلك نوعاً من التكيف الاجتماعي الناجح.

والطفل أكثر تأثراً من البالغ الراشد وهو يقلد أكثر؛ لأن معلوماته وخبراته قليلة، وعندما يكبر فهو يصبح أقل تأثراً وتقليداً وأكثر تأثيراً واستقلالية. والتقليد بالمعنى المرضي يعني التأثير الشديد بالآخرين، والبحث عن تقليدهم في الملبس والشكل والهيئة وطريقة الكلام، وفي المسكن والمشتريات وغير ذلك، دون أن يكون في ذلك مصلحة حقيقية، أو نفع، أو ملاءمة لشخصية الإنسان، وظروفه الخاصة.

ويعرف حنفي سيكولوجية التقليد Usage: بأنها المحاكاة في أول عهدنا بالحياة التي تكون تلقائية وعفوية "أو أنها: "غريزية" نأتيها من غير تعلّم وبدون خبرة ولا قصد، وهو شيء أشبه بالإنطباع مثل أفرخ الطير تتابع أمها في السير، وقد تبين أنها من الممكن أن تتبع أي شيء يتحرك ككرة متدحرجة أو المجرب نفسه، والفطري فيها "سلوك" المتابعة وليس موضوع المتابعة، وكذلك المحاكاة عند الطفل في الأسابيع الأولى، فإنه يأتيها كأنما هو مطبوع على ذلك، ثم من بعد ذلك تكون المحاكاة تصوّراً، وتمثلاً للمواقف والناس، لهذا السبب كثيراً ما تضحكنا محاكاة الأطفال^(١).
وأما من يكثر من المحاكاة والتقليد عند الكبر، فهو "استهوائي" غالباً وقد يعاني من نقص في اعتبار الذات، أو قد يكون له شخصية اعتمادية معجب بها كأن يكون أحد المشاهير، أو ربما يعاني من كثرة الفشل فتتزعزع ثقته بنفسه ويميل إلى مسايرة الآخرين^(٢).

ومن المحاكاة سلوك مرضي يقال له "المحاكاة الهستيرية" فيأتي المريض به الأعراض السلوكية

(١) موسوعة عالم علم النفس، عبد المنعم حنفي، ط١، ١٤٢٥هـ دار نوبليس ٢٨١/١

(٢) موسوعة عالم علم النفس، حنفي: ٢٨١/١

نفسها التي يراها على آخر يتعيّن به، فتتلبسه الأعراض ويأتيها مثله، فلو كان الآخر يشكو الشلل مثلاً فقد يصاب المريض بالمحاكاة المستيرية بشلل أيضاً، لكن ليست له الأعراض التشريحية للشلل، ويقال له الشلل نفسي المنشأ، حيث نلاحظ هذه الظاهرة حين نرى من الناس من يردد ما يقوله الآخرون تريدداً بلا وعي ودون حاجة إليه، كما قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } [البقرة: ١١٣]. فهم رددوا مقالة لم يعلموا ماهي، وهي الظاهرة المرضية التي يقال لها الصداء اللفظي، وهناك الظاهرة المماثلة التي يقال لها الصداء الحركي، وهي محاكاة قد يأتيها البعض أيضاً دون وعي، فإذا قطّب المتحدث جبينه مثلاً، فقد يقطّب المستمع وإذا ضحك ضحك، وتلك ظواهر جليلة نلاحظها عند مرضى الفصام بالذات^(١). كما يرى علماء النفس بأن التقليد جزء من تكوين الإنسان وخصائصه النفسية والذهنية، يكون في تعطيله مفسدة لهذه الخاصة وفي إعماله تحقيق لكامل الخصائص النفسية التي يعيشها الإنسان.

وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب "معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة"^(٢): وكما يكون التقليد نعمة في بعض الأحيان إلا أنه قد يكون نقمة، إذا عطل فيه العقل والإدراك، لذلك فإن المقلّدين المعطلين لأفهامهم ومدراكهم غالباً ما يقودهم ذلك إلى عدم الإيمان بالله؛ لأن تعطيل خصائص الإنسان النفسية والذهنية يمت فيهم التكوين المتأثر والمؤثر في المجالات الحيوية للإنسان، وفي طليعتها مجال الإيمان بالله، وفي هذه الصدد تجدهم قد صمّوا آذانهم عن سماع دعوة الحق سماع تدبّر وتفهم، وسلبوا النعمة الفطرية التي خص الله بها الإنسان (التمييز والإختيار) فلم يجيبوا داعي الدعوة، بل احتجوا بحجة التقليد الذي سلّبوا معه خصائص الإنسان الفطرية والنفسية، كما قال تعالى: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ } [الزخرف: ٢٢].

٥- مفهوم التقليد في الفكر الإسلامي:

وهو ما يسميه البعض التقليد الأعمى، لما فيه من اتباع المسلم لغيره دون تأمل، فشبهه بالأعمى

(١) نفس المرجع السابق: ٣٨١/١

(٢) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة علم النفس، د. سميح عاطف الزين، ط ٢ دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني ص

الذي لا يرى ما أمامه، فكأن المقلد يتبع غيره دونما بصيرة وإدراك لما يتبعه، يبدأ في الإعجاب بالحضارة الغربية ومن ثم إلى الاقتباس منها شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى ذوبان الشخصية الإسلامية في الفكر الغربي فيما يخالف الشريعة الإسلامي في الفكر والاعتقاد والعمل.

ويعرفه د. ناصر العقل : "ما سلكه المسلمون من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص من اتباع الكفار والأخذ منهم، والتشبه بهم، في شتى ألوان الحياة وأنماط السلوك، والأخلاق وأشكال الإنتاج في الاعتقاد والتصوير والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية والأخلاق الفاضلة ، ومن غير إلزام للمنهج الإسلامي الأصيل " (١) .

كما يمكننا أن نعرف مفهوم التقليد في الاصطلاح بأنه :

عملية اتباع المسلم للكافر، وانقياده وراء الفكر الغربي من غير إدراك ولا تأمل ولا وعي لما ينجر وراءه مما يتعارض مع الدين، في شتى مجالات الحياة .

ومن هنا يتبين لنا بعض الضوابط :

١- أن معنى التقليد يستخدم في اللغة غالباً بمعنى المحاكاة والانقياد، والانحزام والاستسلام، والتفويض من غير إدراك أو تأمل.

٢- أن هناك فرقا بين الاتباع والتقليد، فاتباع ما جاء به الأنبياء والرسل لا يعتبر تقليداً، بل يسمى اتباعاً؛ لأن التقليد يعني الاتباع من غير إدراك ولا تأمل، ودين الله الذي بعث به الأنبياء والرسل هو عين الحق يدركه المرء بالتأمل والتفكير، كما قال تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق:٣٧] . وقال سبحانه: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } [النور:٤٤] .

(١) التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، د. ناصر العقل، بحث لنيل الدرجة العالية في كلية الشريعة ص ٥٦ .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(١) : اعلم أن مما لا بد منه معرفة الفرق بين الاتباع والتقليد ، وأن محل الاتباع لا يجوز التقليد فيه بحال.

وإيضاح ذلك : أن كل حكم ظهر دليله من كتاب الله ، أو سنة رسوله - ﷺ - أو إجماع المسلمين، لا يجوز فيه التقليد بحال؛ لأن كل اجتهاد يخالف النص، فهو اجتهاد باطل، ولا تقليد إلا في محل الاجتهاد؛ لأن نصوص الكتاب والسنة، حاکمة على كل المجتهدين، فليس لأحد منهم مخالفتها كائناً من كان، فلا يجوز التقليد فيما خالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً إذ لا أسوة في غير الحق، فليس فيما دلت عليه النصوص إلا الاتباع فقط، ولا اجتهاد، ولا تقليد فيما دل عليه نص، من كتاب أو سنة ، سالم من المعارض^(٢) .

٣- أن التقليد منه ما هو سلبى ومنه ما هو إيجابى، فإذا كان التقليد مع إدراك وتمحيص ما يفعله المتبع مما لا يتعارض مع الدين فهو تقليد إيجابى. أما إذا كان من غير إدراك أو تأمل لما يتبعه فهو تقليد سلبى.

٤- أن المراد بالتقليد السلبى، هو ذاك الذي ذمه الله في كتابه كما قال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة: ١٧٠] وقوله - ﷺ - : (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل له: اليهود والنصارى، قال: فمن؟!)^(٣).

هذا هو التقليد السلبى الذي هو تقليد من غير إدراك أو تأمل لما يتبع، فلو تأمله المتبع لما تبعه، كما يدخل تحت التقليد السلبى كل ما كان باطلاً^(٤).

٥- إن التقليد الإيجابى نعني به السير خلف أحدٍ فيما أفتى به مما يوافق ما دعا إليه الأنبياء والرسول، أو مما لا يتعارض مع ما جاؤوا به، لذا أوجب سبحانه الإيمان الرجوع إلى أهل

(١) أضواء البيان : ٧ / ٣٥٢

(٢) نفس المرجع السابق : ٧ / ٣٥٢

(٣) أخرجه البخاري [٣٤٥٦]، ومسلم [٢٦٦٩] .

(٤) لأن الباطل يدركه العاقل أنه باطل إذا تفكّر فيه و تأمله، ومن ثم فهو لن يتبعه إذا علم بطلانه إلا إذا كان صاحب هوى.

العلم، كما قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣] وقال سبحانه : { فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء: ٥٩].
فدلت الآيتان على وجوب اتباع رأي العلماء المجتهدين فيما يفتون في النوازل، وأن على المسلم أن يأخذ برأيهم، فالعلماء هم ورثة الأنبياء^(١).

قال الزركشي^(٢): "أما وجوبه على العامة، فلقوله تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣] وقوله تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } [التوبة: ١٢٢]. فأمر الله تعالى بقبول قول أهل العلم فيما كان من أمر دينهم ولولا أنه يجب الرجوع إليهم لما كان للنذرة معنى"^(٣).

كما يدخل في التقليد الإيجابي كل ما ينفع الناس في أمور دنياهم مما لا يتعارض مع ما جاء به الأنبياء والرسول .

وقد ورد في القرآن ما يفرق بين الأول والثاني، وذلك في قوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ } [محمد: ٣] ، فالأول الذي هو وراء الحق هو تقليد إيجابي لا غبار عليه، بل هو مناط بنور الله، أما التقليد الذي هو وراء الباطل ودعائه فهو سلمي، لم لا وهو اتباع من غير إدراك أو تأمل، فنور الله يتوافق مع الفطر السليمة كما يدركه من كان لديه أدنى تأمل أو إدراك، كما قال تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله جامع بيان العلم ليوسف بن عبد البر ، تحقيق : أبي الأشبال الأزهرى ، الناشر : دار ابن الجوزي .
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ

(٢) الزركشي : هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أحد فقيهاً أصولياً لُقّب بالزركشي المصتف لكثير تصانيفه صاحب كتاب البحر المحيط في الأصول الفقه مصري المولد والوفاة، ولد سنة ٧٤٥ وتوفي ٧٩٤ هـ (انظر مقدمة محقق البحر المحيط عبد القادر العاني).

(٣) البحر المحيط، للزركشي، تحقيق العاني ومراجعة د. الأشقر ط ٢ لوزارة الأوقاف بالكويت ج ٦ ص ٢٨٢.

شَهِيدٌ} [ق: ٣٧]. وقال سبحانه : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران: ١٩٠]

٦- أن تقليد الناس بعضهم البعض في عاداتهم وتقاليدهم، أو في حياتهم العملية الدنيوية قد يدخل في التقليد السلبي، وقد يدخل في التقليد الإيجابي، وذلك بناء على ما يترتب عليه من آثار . فمتى خلا من المحاذير الشرعية جاز، ومتى ما تضمن مخالفة لنص من كتاب الله أو سنة رسوله - ﷺ - فهو محرم يدخل ضمن التقليد السلبي .

المطلب الثالث: تأصيل مفهوم التقليد في الشرع.

ويشتمل على: بيان مفهوم التقليد في القرآن والسنة ، موقف الإسلام من مفهوم التقليد .

التقليد في القرآن الكريم :

عرفنا ما المراد بمفهوم التقليد في اصطلاح الأصوليين وهو : اتباع قول المجتهدين من علماء المسلمين فيما ليس بحجة أي في لم يرد عليه نص صريح من القرآن أو السنة ^(١) .
إلا أن هذا المفهوم الذي عرفه العلماء لم يعرفه أحدٌ من الصحابة فهو لم يكن متداولاً في صدر الإسلام الأول، فتعريفه يدل على ذلك عند قولهم: فيما ليس بحجة؛ لأن ما كان حجة من كلام الله وسنة رسوله - ﷺ - لا يطلق على من يؤمن به مقلداً بل يطلق عليه متبعاً ^(٢) . قال ابن عبدالبر ^(٣) (قال أبو عبدالله بن خويز منداد البصري المالكي: التقليد هو: الرجوع إلى قول لاحجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والاتباع: ما ثبت عليه حجة، وكل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مُقلده، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه. والاتباع في الدين واجب والتقليد بهذا المعنى ممنوع) ^(٤) .

والقرآن تحدث عن التقليد في آيات كثيرة جاءت أكثرها بلفظ "الاتباع" لكن ليس كل ماورد في القرآن من الآيات بلفظ "اتباع" يعني التقليد، فمنها ما يتعبّر تقليداً ومنها ما لا يعتبر تقليداً.
والآيات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ الاتباع على ثلاثة أنواع :

١- المعنى الأول "الاتباع" بمعنى الإيمان بالله وبما جاء به الرسل، وهو إيمان خضوع وتسليم لله وبما جاء به الرسل، الإيمان المحمود الذي يؤمن به كل من كان في قلبه بصيرة سوية وفطرة سليمة، فهو اتباع لا يقصد به "التقليد" إذ التقليد يأتي غالباً بمعنى الإتيان من غير إدراك أو تأمل،

(١) انظر : ص ١٠ نفس البحث .

(٢) انظر : ص ٦٣ نفس البحث

(٣) ابن عبد البر : هو الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي الأندلسي المالكي ، صاحب التصانيف الرائدة ، ولد سنة ٣٦٢هـ له مصنفات في الحديث والفقه والتاريخ والسير والأخلاق وهذا يدل على غزارة علمه، وتوفي في مدينة شاطبة بالأندلس سنة ٣٦٨هـ. انظر (جامع بيان العلم لابن عبد البر ، في مقدمة المحقق : أبي الأشبال الأزهري ، الناشر : دار ابن الجوزي . ط ١ ، ١٤١٤هـ ص: ٧-٢٠) .

(٤) انظر : جامع البيان لابن عبد البر : ٢/٩٩٣ وأضواء البيان في تفسير سورة محمد : ٧ / ٥٢٨

وقد ورد لفظ "الاتباع" في هذا المعنى في أكثر من موضع في القرآن الكريم :

يقول سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمرا: ٣١].

ويقول سبحانه: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: ٩٥]
ويقول سبحانه: {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَوَّلَ مَا نَزَّلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٥٣]

ويقول سبحانه: {أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل عمران: ١٦٢]

ويقول سبحانه: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]

ويقول سبحانه: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام: ١٥٥]
ويقول سبحانه: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨].

ويقول سبحانه: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٦٨].

ويقول سبحانه: {فَانقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٤].

ويقول سبحانه: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ٣].

ويقول سبحانه: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٧].

ويقول سبحانه: {وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} [طه: ٩٠].

ويقول سبحانه: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس: ٢٠، ٢١].

ويقول سبحانه: {فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٣٨].

ويقول سبحانه: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} آل عمران ٢٠.
ويقول سبحانه: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} [النساء: ١٢٥].

ويقول سبحانه: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٦].

ويقول سبحانه: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: ١٠٦].

ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ٦٤].

ويقول سبحانه: {وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥].

كل هذه الآيات التي أمر الله تعالى فيها باتباع المرسلين، أو تحدث فيها سبحانه عن الذين اتبعوا المرسلين، كلها لم ترد فيها لفظة الاتباع بمعنى التقليد؛ لأن التقليد اتباع من غير إدراك ولا تأمل، وذلك غير ممكن في من يتبع نور الله الذي هو موافق للفطر السليمة.

على عكس حال الذين كفروا بدعوة الأنبياء والرسل فهم قطعاً لم يعملوا نعمة العقل السليم، فكان مآلهم أن كفروا بالله وبما جاء به الرسل، نتيجة إغفالهم للعقل الذي أودعهم الله إياه، وإلا فدعوة الأنبياء يتبعها كل من كان لديه أدنى تأمل أو بصيرة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧].

٢- المعنى الثاني "الاتباع" بمعنى التقليد، فقد ورد في القرآن لفظ "الاتباع" الذي يراد به التقليد، وذلك فيما إذا اتبع الإنسان غيره من غير إدراك أو تأمل، وقد ورد هذا اللفظ في الآيات التي ذم الله تعالى فيها أولئك الذين لم يؤمنوا بما جاء به الرسل، واحتجوا باتباع الآباء أو دعاة الضلال فهذا هو التقليد الذي نحن بصددده، وقد ذكر الله تعالى فيهم لفظ "الاتباع" في هذا المعنى في أكثر من موضع في القرآن الكريم :

يقول سبحانه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة: ١٧٠].

ويقول سبحانه: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [المائدة: ١٠٤].

ويقول سبحانه: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ } [لقمان: ٢١].

ويقول سبحانه: { قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [الأعراف: ٧٠].

ويقول سبحانه: { قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } [هود: ٦٢].

ويقول سبحانه: { وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ } {٧٣} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } [الشعراء: ٦٩-٧٤].

ويقول سبحانه: { وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } [هود: ٥٩].

ويقول سبحانه: { فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ } [هود: ٩٧].

ويقول سبحانه: { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } [سبأ: ٢٠].
ويقول سبحانه: { قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِن مَّمَّ يَزِدُّهُ مَالَهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا } [نوح: ٢١].

ويقول سبحانه: { وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } [الشعراء: ٢٢٤].

ويقول سبحانه: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } [الأحزاب: ٦٧].
قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا } أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء^(١).

فكان اتباعهم لأبائهم أو لدعاة الضلال، وكفرهم بدعوة الأنبياء، وعدم إعمالهم لنعمة العقل

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي السلامة، ط ٢ دار طيبة تفسير سورة الأحزاب، ج ٦ ص ٤٨٤

التي أودعها الله تعالى فيهم، تقليداً واضح لمن سلفهم من غير إدراك ولا تأمل، وإلا فلو تأملوا لما قلّدوا غيرهم بكفرهم بدعوة أنبيائهم .

وهذا لا يعني أن المشكلة في اتباع الآباء، فاتباع الآباء لا يعتبر مذموماً إذا كان اتباعاً قائماً على بصيرة وهدى، كما قال تعالى : { وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } [يوسف: ٣٨].

وإنما المشكلة تتعين في اتباع الآباء على ضلال وعمى دون إدراك ولا تأمل، وهذا هو التقليد المذموم .

ولكي يكون الاتباع مذموماً (التقليد السلبي) لا بد من توفر شرطين :
الأول: أن يكون من غير إدراك أو تأمل. الثاني : أن يكون مخالفاً لما جاء به الأنبياء والرسل -
عليه السلام - .

٣- المعنى الثالث " الاتباع " بمعنى الإلتباع للهوى، فمن يكفر بالله متّبعا لهواه ليس مقلّداً في كفره بالله لأحد، بل هو متّبِع لهواه فهو لا يتعبّر مقلّداً، فهذا النوع من الكفار هم أشقى الناس وأتعسهم حالاً وأبئسهم مصيراً، فهم كفروا بالله كفر عناد واستكبار عن الحق مع علمهم أن ماجاء به الأنبياء صدق، وأن دعوة الله لهم حق، إلا أنهم كفرو بما جاء به الأنبياء والرسل حجوداً وعناداً واستكباراً واتباعاً للهوى، كما قال تعالى : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [النمل: ١٤] ، وقوله سبحانه : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام: ٣٣]. فهم علموا علم اليقين أن ماجاء به النبي حق من عند الله ، إلا أنهم جحدوا ظلماً وعلوًّا.

وقال سبحانه : { وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٤] وقال سبحانه : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٤٦] ويقول سبحانه : { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ } [الأنعام: ١١٤] فهم على علم ودراية أن الكتاب الذي أنزل عليهم حق وأنه من عند الله ، إلا أنهم يكتُمون في صدورهم هذا الأمر متبعين في ذلك لمآرهم الدنيوية.

ويقول سبحانه : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } [النحل: ٨٣].
ويقول سبحانه : { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران: ٧٨]، يقولون على
الله الإفتراءات والدعاوى الكاذبة مع علمهم أن هذا كذباً، فهم لا يقعون في ذلك من غير قصد،
بل يدركون ذلك غاية الإدراك.

ويقول سبحانه : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥] فإن من انشق عن دين الله بعد أن
بلغته الرسالة، وتبين له الهدى، أي قامت عليه الحجة، ثم كفر بالله عناداً وجحوداً فلبس المأوى
الذي يلجأه يوم القيامة، كما حدث في قصة الوليد بن المغيرة الذي قال عن القرآن بعد أن سمعه:
والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وأسفله وإنه ليعلو
ولا يُعلو وما هو بكلام بشر^(١). إلا أنه مال إلى مآربه الدنيوية، قال تعالى : { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ *
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَفَالَ إِنَّ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } [المدثر: ١٨-٢٥].

فكفر بالله وانشق عن نور الله ورسوله بعد أن تبين له الهدى هدى الله، فاستحق بذلك عقاب
الله ، كما قال سبحانه : { سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحِةٌ لِلْبَشَرِ
* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ } [المدثر: ٢٦-٣٠].

وهذا النوع من الناس يختلف لفظ اتباعهم للهوى في القرآن عن المعنى الثاني الذي ذكرناه بمعنى
التقليد للآخرين من غير إدراك ولا تأمل، وقد ورد فيهم لفظ "الاتباع" للهوى في أكثر من موضع
في القرآن الكريم :

يقول سبحانه : { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } [محمد: ١٦].

ويقول سبحانه : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ } [محمد: ١٤].

ويقول سبحانه : { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ } [القمر: ٣].

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، تحقيق عبد المحسن التركي ط ١ مؤسسة الرسالة، تفسير سورة المدثر ج ٢١ ص ٣٧٧

ويقول سبحانه : { فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا } [مریم: ۵۹]

ويقول سبحانه: { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [البقرة: ۱۲۰].

ويقول سبحانه: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: ۱۴۵]

ويقول سبحانه : { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: ۲۸]

ويقول سبحانه: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } [النساء: ۲۷]

ويقول سبحانه: { فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ } [المائدة: ۴۸].

ويقول سبحانه: { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [الأنعام: ۱۰۶]. ويقول سبحانه: { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } [الأعراف: ۱۷۶].

كل هذه الآيات ورد فيها لفظ "الاتباع" بمعنى اتباع الهوى .

فعرفنا أن لفظ ومعنى الاتباع في القرآن يأتي على ثلاث معاني منها :

الأول : اتباع المؤمنين لله ورسوله (وهذا ليس تقليداً).

الثاني : اتباع الكفار لغيرهم في الكفر (وهذا يعتبر تقليداً).

الثالث : اتباع الهوى في الكفر بدعوة الأنبياء والرسل (وهذا فيه كفر بالله من غير تقليد).

التقليد في السنة النبوية:

أما ما يتعلق بمفهوم التقليد في السنة النبوية فحاله قريبة من حاله في القرآن الكريم، فقد ورد مفهوم التقليد في عدة مواضع من أحاديث النبي -ﷺ- على ألفاظ عدة تدور حول معنى "الاتباع"، من هذه المواضع ما ورد ويراد به التقليد الذي نحن بصدده، ومنها ما ورد ويراد به

الإقتداء والإيمان بما جاء به محمد - ﷺ - :

المعنى الأول :

"الإتباع" بمعنى التسليم بما جاء به محمد - ﷺ - وليس بمعنى التقليد، وهو الذي قامت عليه رسالته فكل ما جاء عن النبي - ﷺ - من أمر ونهي فهو يدخل في هذا المعنى بالدرجة الأولى، فالمؤمن لا يكمل إيمانه إلا بالتصديق بكل ما جاء به النبي - ﷺ - من أمر ونهي في عموميات الشريعة الإسلامية وتفصيلها، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، نذكر منها:

في باب الاعتقاد : قوله - ﷺ - (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)^(١) ، وفي باب الأقول حين قال سعد بن عباد - رضي الله عنه - لرسول الله - ﷺ - : (والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا)^(٢) ، وفي باب الأفعال سرعة امتثال الصحابة - رضي الله عنهم - أوامر رسول الله - ﷺ - مثل ما فعله الصحابة في سرعة تغيير القبلة نحو الكعبة^(٣) ، وهم يؤدون الصلاة. وما ورد أيضاً في سرعة امتثالهم لشعيرة حلق الشعر في العمرة، أيام صلح الحديبية في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: قالوا فخرج رسول الله - ﷺ - حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق فقام الناس ينحرون ويحلقون)^(٤).

وأما ماورد في دعوته - ﷺ - المباشرة وأمره - ﷺ - باتباعه في أصل رسالته، فهو ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما نزلت : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤]. قال سعد النبي - ﷺ - على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فقال رأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... الحديث)^(٥) . وإن لم ترد لفظة الإتياع المباشر في هذا الحديث إلا أن المعنى في هذا الحديث هو

(١) أخرجه مسلم [٤٤]

(٢) أخرجه مسلم [١٧٧٩]

(٣) أخرجه البخاري [٤٢٢٠]

(٤) أخرجه البخاري [٢٥٨١]

(٥) أخرجه البخاري [٤٤٩٢]

أمر النبي -ﷺ- بالإيمان بما جاء به واتباعه -ﷺ- في أصل الدين وأصل الرسالة التي جاء بها .
وأما ماورد في دعوته -ﷺ- المباشرة وأمره -ﷺ- باتباعه في جزئيات الشريعة وتفاصيل رسالته،
فكثيرة منها قوله -ﷺ- في الحديث الذي رواه البخاري من حديث سليمان مالك بن الحويرث -
رضي الله عنه- قال: (أتينا النبي -ﷺ- فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا وسألنا
عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رقيقاً رحيماً، فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا
كما رأيتموني أصلي) (١) .

المعنى الثاني : لفظ "الاتباع بمعنى التقليد" . ورد في السنة النبوية لفظ "الإتباع" بمعنى التقليد
المباشر للكفار، وذلك لتضمن الحديث معنى التقليد المذموم الذي نحن بصددده، وهو تقليد من
غير أدنى إدراك ولا تأمل لما يُتبع، تقليد معه كامل الإلزامية والذوبان في شخصية المتبع .
* الموضوع الأول: قوله -ﷺ- في الحديث الذي رواه البخاري قال: حدثنا سعيد بن أبي مرثم
حدثنا أبو غسان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد -رضي الله تعالى
عنه- أن النبي -ﷺ- قال: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر
ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟!)(٢) .

قال ابن حجر (٣) ، في شرحه لهذا الحديث : قوله -ﷺ- : جحر ضب يقال خصت بالذكر
لأن الضب يقال له قاضي البهائم، والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه
ورداءته، ومع ذلك فإنهم لا قنفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء
لتبعوهم، وقوله -ﷺ- "فمن" هو استفهام استنكاري، أي ليس المراد غيرهم (٤) .

* الموضوع الثاني: قوله -ﷺ- في الحديث الذي رواه البخاري أيضاً قال : حدثنا أحمد بن يونس

(١) أخرجه البخاري [٥٦٦٢]

(٢) أخرجه البخاري [٣٢٦٩]

(٣) ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناي العسقلاني، ولد سنة ٧٧٣هـ ثم انتقل إلى مصر ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ كان -
رحمه الله- بجرّاً من العلوم، له الكثير من المصنفات من بينها : فتح الباري شرح صحيح البخاري (انظر : هدية العارفين :

(١٢٨/١)

(٤) فتح الباري لابن حجر ، تحقيق بن باز ، ط ١ دار المعرفة ببلن ، ج ٦ ص ٤٩٨

حدثنا بن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة -رضى الله تعالى عنه- عن النبي -ﷺ- قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع فليل يا رسول الله كفارس والروم فقال ومن الناس إلا أولئك) (١).

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: قوله -ﷺ-: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها) يقال أخذ فلان بأخذ فلان أي سار بسيرته ، وما أخذ أخذه ، أي ما فعل فعله وما قصد قصده، "والقرون" جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء، أي الأمة من الناس (٢).

هذا هو التقليد الذي نحن بصدده ، والذي وضح معناه النبي -ﷺ- في صورة واضحة في مثال دقيق يدل على أن "التقليد" سيستفحل أمره في الأمة بعد عهد الرسالة، قرن إثر قرن وجيلاً إثر جيل، فوصفه -عليه السلام- بالوصف الذي يدل فيه على رداءة حال المقلد لغيره دون أدنى تأمل، بل أنه ذوبان كلي في شخصية المقلد حتى لو وصل الأمر إلى أن المقلد أتي بسفاسف الأمور ودنئيتها لجرى ورائه ذلك الذي بلغ به التقليد مبلغه دون أدنى إدراك أو تأمل لما يتبعه، حتى ولو كان أدرئ الأمور والتي عبر عنها النبي -ﷺ- بـ"بجح الضب الضيق المظلم الرديء".

ثم إن هذا الاتباع كان خلف من؟!!

كان خلف اليهود والنصارى، الذين كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، ويدخل في هذا المعنى كل الأمم الكافرة لقوله -ﷺ- في الحديث الآخر: "فليل يا رسول الله كفارس والروم فقال ومن الناس إلا أولئك".

ومن هنا يتبين لنا أن ذكره -ﷺ- لهذا الحديث بهذه الصورة فيه مذمة واضحة لكل مقلد أغرم وانبهر بالأمم الكافرة، وسار خلفهم في كل صغيرة وكبيرة .

ترى بعض الناس اليوم أغرم باللاعب الفلاني، أو الممثل الفلاني، حتى وصل به الأمر إلى اتباعه في أتفه الأمور، في قصة شعره بل في تفاصيل لبسه وفي حركاته وسكناته، وكأن المقلد وصل به الأمر حد السذاجة، فتراه يقلد فقط، مهملاً أدنى مراحل التفكير والتمحيص، حتى يقع بعض شباب المسلمين في مخالقات صريحة للدين؛ في المظهر والقول والفعل بل وأحياناً في الاعتقاد،

(١) أخرجه البخاري [٦٨٨٨]

(٢) فتح الباري: ١٣ / ٣٠٠

نتيجة السير الساذج خلف الأمم الكافرة على مستوى الأفراد أو الجماعات .
فكان ما أخبر به النبي -ﷺ- من الاتباع للأمم الكافرة حدّ الذوبان الكلي ، حال كثيرٍ من
أبناء المسلمين اليوم .

موقف الإسلام من مفهوم التقليد :

أما عن موقف الإسلام من التقليد كمفهوم، فحكمه يأتي بناء على ما يترتب على هذا المفهوم
من أبعاد، وسنورد موقف الإسلام بناء على اصطلاحاته الثلاثة : الأول التقليد في الدين الذي
اصطلح عليه في الشرع ، والثاني موقف الإسلام من التقليد في اصطلاح المفكرين الإسلاميين ،
والثالث موقف الإسلام من التقليد الطبيعي بين الناس^(١) :

موقف الإسلام من المعنى الأول للمفهوم : وهو المعنى الذي اصطلح على مفهومه علماء
الشرع، وهو التقليد بمعنى اتباع العامي للمجتهد من علماء المسلمين، أو اتباع المجتهد لمن هو أعلى
منه درجة في الإجتهد في المسائل التي لم يرد فيها نص صريح من الكتاب أو السنة، فهذا حكمه
وجوب الأخذ به، ووجوب تقليد العامي للمجتهد من علماء المسلمين، وكذلك وجوب تقليد
المجتهد لمن هو أعلى منه^(٢) .

وعليه فوجوبه يشترط له شرطين :

الأول : أن يكون محل التقليد فيما لم يرد فيه نص من الكتاب أو السنة .

الثاني : أن يكون المقلد من العلماء لمجتهدين، فلا يجوز تقليد غيرهم^(٣) .

والدليل قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣] وقال سبحانه : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) كما يعرفه علماء النفس وعلماء الاجتماع راجع، ص ٩ من نفس البحث

(٢) اتباع المجتهد لغيره ، ورد فيها خلاف طويل هل يجب على المجتهد أن يتبع من هو أعلى منه، أم يجب عليه أن يجتهد، ويمكن
الرجوع إلى هذا الخلاف في كتب الفقه، وكتب أصول الفقه باب الاجتهاد والتقليد ، مثل كتاب : البحر المحيط للزركشي، وكتاب
الأم للشافعي، أو الإحكام في أصول الأحكام للآمدي .

(٣) انظر : الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، احمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق : علي محمد معوض،

وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر دار الكتب العلمية ببلنات الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ج ١ ص ١٥-٢٢

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا { [النساء: ٥٩]

فدلت الآيتان على وجوب اتباع رأي العلماء المجتهدين فيما يفتون فيه من النوازل، وأن على المسلم أن يأخذ برأيهم، فالعلماء هم ورثة الأنبياء .

قال الزركشي ^(١) : أما وجوبه على العامة، فلقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣] وقوله تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } [التوبة: ١٢٢] . فأمر الله تعالى بقبول قول أهل العلم فيما كان من أمر دينهم، ولولا أنه يجب الرجوع إليهم لما كان للندارة معنى، ولقضية الذي شُج، فأمره أن يغتسل، وقالوا : لسنا نجد لك رخصة فاغتسل ومات، فقال النبي - ﷺ - قتلوه قتلهم الله، إنما كان شفاء العمي السؤال ^(٢) فبان بذلك جواز التقليد. قال الشيخ أبو حامد الغزالي ^(٣) : ولأنه لا خلاف أن طلب العلم من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقط عن الباقين، ولو منعنا التقليد، لأفضى إلى أن يكون - طلب العلم - من فروض الأعيان ^(٤) .

وقال ابن العربي ^(٥) في كتابه أحكام القرآن: "وأما حكم التقليد فقد بينا أنه فرض على العامي إذا نزلت به نازلة أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده فيسأله عن نازلته ، فيمثل فيها فتواه، وعليه الاجتهاد في معرفة أعلم أهل وقته بالبحث عن ذلك حتى يتصل له الحديث بذلك، ويقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس . وعلى العالم أيضا فرض أن يقلد عالما مثله في نازلة خفي عليه فيها

(١) البحر المحيط، للزركشي: ٦ / ٢٨٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه [٥٧٢] والدارمي [٧٥٢] وصححه الألباني، انظر : صحيح وضعيف سنن ابن ماجه للألباني : ١ / ١٨٩ .

(٣) الغزالي : هو : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ولد بخراسان سنة ٤٥٠ ، برع في علم أصول بالجدل والمنطق والفلسفة، حتى يقال إنه يحضر مجلسه ثلاث مائة من كبار العلماء ، أخذ عليه - رحمه الله - مآخذ في علم الكلام وفي التصوف، لكنه تراجع عنها في آخر حياته في كتابه تهافت التهافت. له مؤلفات كثيرة من بينها إحياء علوم الدين ، توفي سنة ٥٠٥ هـ . (انظر : مقدمة إحياء علوم الدين، الناشر: دار "كرياطه فوترا" في إندونيسيا، بقلم د. بدوي طبانة: ج ١ ص ٧-١٠)

(٤) البحر المحيط، للزركشي: ٦ / ٢٨٢ .

(٥) هو القاضي : أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، الأندلسي، له العديد من المؤلفات في الفقه وأصوله وفي التفسير وعلوم القرآن، كان والده من فقهاء إشبيلية ورؤسائها، ولد سنة ٤٦٨ وتوفي ٤٦٩ (انظر: مقدمة المحقق محمد عبد القادر عطا، ط ٣، ١٤٢٤ هـ الناشر : دار الكتب العلمية بلبنان) .

وجه الدليل والنظر" (١).

وأما دليل جواز الاجتهاد بالنسبة للمجتهد ، فحديث معاذ بن جبل لما أرسله رسول الله - ﷺ إلى اليمن فقال له رسول الله - ﷺ - كيف تقضي إذا عرض لك قضاء قال أقضي بكتاب الله قال فإن لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله - ﷺ - قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله قال أجتهد رأيي ولا آلو فضرب رسول الله - ﷺ - صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله (٢).

كما يحرم تقليد كائنا من كان في أي حكم ورد فيه نص في كتاب الله أو سنة رسول الله - ﷺ - فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (لا يقلدن أحدكم دينه ، رجلا ، فإن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر) (٣).

قال المزني (٤) في هذا ، وقد ذم الله التقليد - أي التقليد فيما يتعارض مع نصوص الوحيين - في غير ما آية كقوله تعالى : { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } [الزخرف: ٢٣] وقوله تعالى : { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } [الأحزاب: ٦٧] قال : ويقال لمن حكم بالتقليد : هل لك من حجة فإن قال : نعم ، فقد أبطل التقليد ؛ لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد وإن قال بغير علم ، قيل له : فلم أرقت الدماء ، وأبحت الفروج والأموال ، وقد حرم الله ذلك إلا بحجة . فإن قال : أنا أعلم أي قد أصبت ، وإن لم أعرف الحجة ؛ لأن معلمي من كبار العلماء . قيل له : تقليد معلمك أولى من تقليد معلم معلمك ؛ لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت عن معلمه كما لم يقل معلمك إلا بحجة قد خفيت عنك ، فإن قال : نعم ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه ، وكذلك حتى ينتهي إلى العالم من الصحابة ، فإن أبي ذلك

(١) أحكام القرآن لابن العربي ، مراجعة وتخريج محمد عبد القادر عطا ط ٣ دار الكتب العلمية ببلن ، ١٤٢٤ هـ في تفسير سورة

المائدة ، ج ٢ ص ٢٢٤

(٢) أخرجه أبوداود [٣٥٩٢] والترمذي [١٣٢٧] وضعفه الألباني ، انظر : صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني : ٣/٣٠٣

(٣) البحر المحيط ، للزركشي : ٦ / ٢٨٢ ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : ٢ / ٩٨٨

(٤) المزني هو : إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو المزني ، المصري الشافعي ، ولد سنة ١٧٥ هـ ، له أكثر من مصنف في الفقه وأصوله : الجامع الكبير ، والجامع الصغير في فقه الشافعي ، والمبسوط في الفروع ، والمختصر في الفروع والمختصر في الفروع ومختصر

المختصر وغيرها ، توفي - رحمه الله - بمصر سنة ٢٦٤ هـ (انظر : هدية العارفين : ١ / ٢٠٨)

نقض قوله، وقيل له : كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما، ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأغزر علما؟ (١).

موقف الإسلام من المعنى الثاني للمفهوم: وهو المعنى الذي يتناوله المفكرون الإسلاميون ، والذي يطلق ويراد به : تقليد المسلم للكافر في شتى مجالات الحياة ، وهذا موقف الإسلام منه كما يلي :

- يجوز التقليد أو الأخذ من علوم الأمم الكافر في المجالات الدنيوية، والمادية التي تعود على المسلمين بالنفع ، بل يجب الأخذ بها متى ما توقفت مصلحة المسلمين عليها، لكن لا بد من تحقق هذه الشروط لجواز تقليدهم :

أ- أن لا يكون هذا الاقتباس يتعارض مع ما جاء به الدين من نصوص الوحيين، وأن يكون قاصر على النواحي المادية الدنيوية .

ب- أن لا يكون هذا الاقتباس مصحوباً بانضمامية وتبعية ، كيلا يكون طريقاً إلى التأثير بهم فيما يتعارض مع الدين، فدرء المفسد مقدم على جلب المصالح (٢).

ت- أن لا يوجد في المسلمين البديل لهذا الأمر ، فالاستعانة بهم قد تجر مفسد على الدين، فمتى توفر لدى المسلمين الاستغناء عنهم كان ذلك أولى . وما عداها فإن التقليد بهذا يكون محرماً .

والدليل على جواز تقليد الكفار في النواحي الدنيوية عند الحاجة، مارواه البخاري في صحيحه عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: واستأجر النبي -ﷺ- وأبو بكر رجلا من بني عبد بن عدي وهو على دين كفار قريش، ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاها براحليهما صبيحة ليال ثلاث، فارتحلا، فأخذ بهم أسفل مكة، وهو طريق الساحل (٣) ، وقد أخذ النبي -ﷺ- برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق (٤) ، وقد كانت فكرته من بلاد فارس. وكذلك عمر بن الخطاب

(١) البحر المحيط، للزركشي: ٦/ ٢٨١ ، وأضواء البيان : ٧ / ٥٣٠ ، وجامع بيان العلم لا بن عبد البر : ٢ / ٩٩٢

(٢) انظر : القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في الأيمان والنذور، د. محمد التمبكتي ط ١ المكتبة الكية عام ١٤٢٧ هـ ص ٤٦١

(٣) أخرجه البخاري [٢١٤٤]

(٤) انظر : السيرة النبوية لابن هشام، تعليق وتخرير عمر عبد السلام تدمري ، ط ٣ دار الكتاب العربي ببلبنان ١٤٠ هـ . ج ٣ ص

- ﷺ - أخذ نظام الدواوين مستفيداً بذلك من تجارب الفرس والروم^(١).

وقد قسم أبو حامد الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " العلوم إلى علوم تعلمها فرض عين وأخرى كفاية، وذهب إلى أن العلوم الدنيوية البحتة يجوز أخذها واستمداها من أي مصدر، بل يجب إذا احتاج إليها المسلمون فقد يكون تعلمها فرض كفاية متى توقفت عليها حاجة المسلمين كالطب والفلك والحساب^(٢).

لكن المحذور الذي وقع فيه الكثير من المسلمين: هو كون استمداد العلوم المختلفة من الكفار مصحوب بإعجاب وانبهار، وبداية تدريجية لتقليدهم فيما يتعارض مع الدين ، إذاً فالمشكلة تكمن في ما إذا كان تقليدهم فيه انهزامية، ويؤدي إلى تقليدهم في ما وراء ذلك فيما يتعارض مع الدين .

وقد حدث هذا المحذور في تاريخ الدولة الإسلامية العثمانية وذلك عام ١٨٣٩م في عهد السلطان محمود الثاني حينما قلد الأوربيين في النظم العسكرية ، وكمرحلة أولى فقد كان يرسل الدارسين إلى أوروبا - لكي يوفروا له معلمي المدارس وضباط الجيش. ثم افتتح مدرسة للطب كان معلموها من الأتراك والفرنسيين، كما كان مدرّبوها يضمون الكثير ممن جرى استقطابهم من أوروبا، كان هذا الأمر في بدايته لا لبس فيه، إلا أن هذه كانت مجرد بداية، حتى قام بإدخال الموسيقى في الجيش تقليداً للنظم الأوربية في جيوشها^(٣).

حتى انفلت التقليد في عهده فاهتم محمود الثاني بتلقين اللغات الأوربية لعدد من الأتراك، وقد جعل محمود من نفسه نموذجاً لاقتباس الغرب فظهر بمظهر العواهل الأوربيين، وقص لحيته وارتدى الطربوش، وكان أول سلطان يشهد الاحتفالات العامة والأوبرات وحفلات رقص البالية التي كانت تعرض داخل السفارات الغربية، كما استقدم الموسيقيين الأوربيين وأنشأ فرقته الموسيقية الخاصة به التي أصبح بإمكانها أن تقدم أعمالها لضيوفه الأوربيين، حتى بدأ السلطان نفسه يتعلم اللغة

= ١٧١.

(١) انظر : كتاب الوزراء والكتاب محمد بن عبدوس الجهشياري ، تحقيق : عبد الله إسماعيل الصاوي الناشر : المكتبة العبرية ببغداد. الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ

(٢) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي، الناشر: دار "كرياطه فوترا" في إندونيسيا : ج ١ ص ١٧-٢٠

(٣) انظر : أصول التاريخ العثماني ، احمد عبد الرحيم مصطفى، الناشر : ط ٢ دار الشروق ١٤٠٦هـ ص ١٥٦-١٥٧

الفرنسية^(١).

هذا هو الفرق بين الإقتباس المجرد من التبعية والإهزامية، وبين الإقتباس المصحوب بهما، لذلك ففعل النبي -ﷺ- في الخندق وكذلك عمر -رضي الله عنه- في الدواوين^(٢)، ليس فيه أدنى نوع من أنواع الإهزامية، كما أنه خال مما يتعارض مع الدين، ولذلك لم يكن ذلك طريقاً إلى الانجراف خلف الأمم الكافرة، ومن ثم التبعية ورائهم، وتحول الأمر من كونه استعانة بهم في مجال دنيوي إلى تشرب أفكارهم ومن ثم اقتباس ما لديهم مما يتعارض مع الدين.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : "والإستقراء التام القطعي دل على أن الحضارة الغربية تشمل على نافع وضار، أما النافع فيها فهو من الناحية المادي مما يخدم الإنسان مادياً، ومنها ماهو ضار وهو إهمالها للتربية الروحية التي هي رأس كل خير، وقد انتفع -ﷺ- بدلالة " أبي الأريقط الدؤلي" له في سفر المحجرة على الطريق مع أنه كافر ، فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة. والمؤسف أن أغلبهم يعكسون فيأخذون منها الإنحطاط الخلقى، والإنسلاخ من الدين والتباعد من طاعة خالق الكون ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي، فחסرو الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين^(٣).

ويقول أ. مصطفى صادق الرافعي : وإني لأرى أنه لا ينبغي لأهل الأقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد، بل اقتباس التحقيق، بعد أن يعطوا كل شيء حقه من التمحيص ، فإن التقليد لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة، ولا يعني ألا نأخذ من القوم شيئاً ففرق بين الأخذ من المخترعات والعلوم وبين الأخذ من زخرف الدنيا وأهواء النفس من تمييز بين الخبيث والطيب، فالفكر الإسلامي إنما ينتج الإنسانية كلها^(٤).

(١) انظر : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، د.إسماعيل ياغي الناشر مكتبة العبيكان ١٤١٥هـ ص ١١٩

(٢) الوزراء والكتّاب للجھشياري : ص ١٢

(٣) أضوء البيان للشنقيطي : ٤/١٢٢

(٤) وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي، راجعه د.درويش الجويدي، الناشر : المكتبة العصرية ببلنات ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٣ ص

موقف الإسلام من المعنى الثالث للمفهوم: وهو المعنى الذي اصطلح على مفهومه علماء النفس وعلماء الاجتماع^(١)، ويطلقونه ويريدون به انتقال الظواهر النفسية من شخص إلى آخر، أي أن التقليد هو محاكاة لألوان سلوك الغير، وإذا كانت الرغبة في التقليد صريحة كان التقليد مقصوداً، وإذا كانت الرغبة غير صريحة أو لا شعورية كان التقليد غير مقصود^(٢).

أو يريدون بمفهوم التقليد تلك العملية النفسية التي تقوم على أن الإنسان الطبيعي منذ ولادته، وهو ينظر إلى من حوله ويحاكيهم، فالإنسان المتوازن يتأثر ويؤثر حيث يتأثر الإنسان بالأشخاص من حوله بأفكارهم وسلوكهم، وتصرفاتهم، وثيابهم، وغير ذلك .
فموقف الإسلام منه على نوعين:

الأول : الإباحة، وهو تقليد الرجل لغيره من المسلمين^(٥) في الأمور التي سكت عنها الشرع، ولم يرد في حكمها نص، فمتى ما كان تقليد الناس بعضهم لبعض في أمور لم يرد فيها نص يمنعها فلا بأس في ذلك، كتقليد الناس بعضهم لبعض في طريقة تقديم الطعام وطريقتهم في المناسبات والأفراح ونحوه؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، وطالما أن عملية التقليد خلت من المحاذير فلا لبس فيها . ومتى ما كان التقليد متفرع من شيء حث عليه الشرع فهو مستحب ومندوب، كتقليد الناس بعضهم لبعض في طريقة معينة تعتبر من إكرام الضيف فهذا يعتبر مندوب^(٣).

الثاني : المنع والتحریم، وذلك في كل ما كان متعارضاً مع الدين؛ لأن الله ذم التقليد المبني على التبعية من غير إدراك ولا تمحيص، كما قال تعالى: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ } [الزحرف: ٢٢] .

فلا يجوز التقليد في الإسبال أو في حلق اللحية أو قصات الشعر المحرمة، أو التقليد في النواحي

(١) وكذلك علماء الفلاسفة ، يدخل جزء من تفسيرهم للتقليد في هذا المفهوم ، لكن مفهوم التقليد عندهم يشتمل على معاني أوسع

. راجع نفس البحث : ص ١١

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : ٢٠٧

(٥) تقليد الرجل لغيره من الكفار جائز لكن بضوابط ، انظر ص ٤١ من نفس البحث

(٣) المقصود بالتقليد هنا هو التقليد في طريقة الإكرام وليس الإكرام نفسه، فالإكرام نفسه يعتبر اتباعاً ، لورود النص في هذا وهو قوله

ﷺ- " من كان يؤمن بالله اليوم الآخر فليكرم ضيفه " أخرجه البخاري [٥٦٧٢] .

التي تتعارض مع الدين، كالتقليد في إقامة الحفلات الموسيقية والرقص والمجون، أو التقليد في حفلات أعياد الميلاد وعيد الحب والأُم ورأس السنة وغيرها .
فكل ما تعارض مع الدين ، لا يجوز فيه التقليد أو التبعية لأحد بحال. وبهذا تبين لنا موقف الإسلام من التقليد .

المبحث الثاني : نشأة وتطور مفهوم التقليد:

عرفنا أن مفهوم التقليد أخذ منذ نشأته ثلاثة معاني مختلفة، الأول: التقليد الطبيعي بين الناس^(١) ، والذي تزامن مع نشأة الإنسان، والثاني: التقليد في الدين الذي اصطلح عليه علماء الشرع ، والثالث: التقليد في اصطلاح المفكرين الإسلاميين، وهذا التعدد للاصطلاحات لم يأت بطبيعة الحال إلا وليدًا لعوامل كثيرة مرت على هذا المفهوم غيرت من المراد به، ومن الأبعاد التي انطلق منها من أعطوا المفهوم الأبعاد المختلفة عبر العصور .

١- أما عن نشأة هذا المفهوم فقد نشأ مع الإنسان، فهو قديم قدم الإنسان، فمنذ أن يولد المرء وهو يقلد من حوله في كل تفاصيل الحياة، وكل أمة تنظر إلى من حولها وتجاريها، فالناس في تقليد مستمر فيما بينهم. وتحديدًا نشأ هذا المفهوم مع المرة الأولى في تاريخ البشرية التي حدث فيها التقليد الطبيعي.

وهو ما ذكر في القرآن الكريم في قصة هابيل وقابيل ابني آدم، حينما قام أحدهما بتقديم قربان لله فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، فقام أحدهما بقتل أخيه، فلم يدر ما يفعل بجثة أخيه، فبعث الله غراباً يدفن غراباً آخر، فلما رأى ما يفعل الغراب بأخيه الغراب، قام ففعل مثلما فعل كما قال الله تعالى في قصتهما: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَ لَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [المائدة: ٢٧-٣١].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: {نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ} قول الجمهور أنهما هابيل وقابيل، كيف عدا أحدهما على الآخر، فقتله بغيا عليه وحسدا له، فيما وهبه الله من النعمة، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل ، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة

(١) كما يعرفه علماء النفس وعلماء الاجتماع ، راجع نفس البحث ص ١٦، ١٤

، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة^(١).

إلى أن قال سبحانه وتعالى: { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } [المائدة: ٣١]. قال القرطبي^(٢) -رحمه الله- في قوله تعالى: { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ } قال مجاهد: بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر فدفنه، وكان ابن آدم هذا أول من قتل، وقيل: إن الغراب بحث الأرض على طعمه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه؛ لأنه من عادة الغراب فعل ذلك؛ فتنبه قبايل بذلك على مواراة أخيه. وروي أن قبايل لما قتل هاويل جعله في جراب، ومشى به يحمله في عنقه مائة سنة؛ قاله مجاهد، وروى ابن القاسم عن مالك أنه حمله سنة واحدة؛ وقاله ابن عباس، وقيل: حتى أروح ولا يدري ما يصنع به إلى أن اقتدى بالغراب^(٣).

فنص القرطبي بكلمة "اقتدى" ومن هذه الآية يتبين لنا بداية نشأة مفهوم التقليد، الذي يقصد به تقليد الإنسان لغيره التقليد الطبيعي. فنشأ مفهوم التقليد الطبيعي في حياة الإنسان بنوعيه السلبي والإيجابي.

إلا أن المرة الأولى التي حدث فيها التقليد، والتي نشأ من خلالها، يعتبر تقليداً في جانب واحد وهو التقليد الإيجابي، ذلك أن الذي قتل أخاه بحث عن الحلول في التعامل مع الجثة التي بجانبه فتعذر عليه ذلك، حتى أرسل الله -عز وجل- الغراب، ليعلمه كما قال سبحانه: { لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ } ، فرأى القاتل أن لدى الغرب فكرة جيدة ومثلى لدفن الميت، فقام فقلد الغراب التقليد الإيجابي، لذلك قال الله في الآية: { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } [المائدة: ٣١] أي: أنه رأى أن الغراب أفضل منه في هذا، فقال: { أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ

(١) تفسير ابن كثير: ٣ / ٨٢

(٢) القرطبي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن خالد المالكي كان عالماً بالفقه والتفسير رحل إلى الشام ورجع إلى بلده، توفي سنة (٢٤٩) صنف من الكتب أسماء السحاب والرياح والمطر، تنميق الأخبار، وكتاب الأمثال وغيرها الكثير. (انظر: هدية العارفين: ٣/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق عبد المحسن التركي ط ١ مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ، تفسير سورة المائدة ج ٧ ص ٤٢١.

مَثَلْ هَذَا الْغُرَابِ { فقام ففعل مثل ما فعل الغراب في دفن الميت، فسن الله هذه السنة لدفن الأموات ، فكان هذا التقليد تقليداً إيجابياً، ومن هنا يتبين لنا أن أول نشأة لمفهوم التقليد كانت في التقليد الإيجابي .

ثم حدث الجانب الثاني لهذا المفهوم وهو التقليد السلبي ، لتكتمل بذلك الصورة الكاملة لمفهوم التقليد في جانبيه السلبي والإيجابي، وذلك بعد ظهور دعوة نبي الله هود -عليه السلام- التي دعا فيها قوم عاد من بعد نبي الله نوح - عليهما السلام - كما في قوله تعالى : { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [الأعراف: ٦٥-٧٠]. حتى أهلكهم الله بسبب اتباعهم لمن سلفهم في الكفر والعناد، كما قال تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ { [هود: ٥٨-٥٩].

واستقر بذلك هذا المفهوم في جانبيه السلبي والإيجابي، فاستمر الإنسان في حياته يقلد أخاه الإنسان، ويستفيد من تجارب أخيه الإنسان، كلٌ يقلد من سبقه، ويبدأ الإنسان متابِعاً من حيث انتهى من قبله، كما أن الكفار الذي عاندوا الرسل وجحدوا بما أنزل عليهم متبعون ومقلدون بذلك أسلافهم .

واستمر استقرار هذا المفهوم في عهد الأنبياء من لدن نوح عاد عليه السلام إلى ما قبل عهد عيسى -عليه السلام-، وهم يواجهون في دعوتهم موجة التقليد السلبي الفاسد للآباء والأسلاف، فكما حدث في عهد هود -عليه السلام- مع دعوته لقوم عاد، فقد حدث بعد ذلك مع نبي الله صالح -عليه السلام- لما دعى قوم ثمود، فقد رفضوا الإيمان بدعوته تقليداً لآبائهم، كما قال تعالى: { قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } [هود: ٦٢]. واتباعاً للمفسدين منهم كما قال تعالى عنهم: { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ * }

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء: ١٥١-١٥٢]. وكذلك مع نبي الله إبراهيم -
عليه السلام- لما نهى قومه عن عبادة الأصنام، رفضوا ترك عبادتها، فلما سألمهم عن سبب اتباعهم لها
خلافاً للمنطق، فأجابوا إجابة المقلد التقليد السلبي الذي يتبعه المتبع غيره من غير إدراك ولا تأمل،
كما قال الله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنُظِّلُهَا عَلَيْكَ يَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ
وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ * فَإِنَّهُمْ
عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٦٩-٧٧]. وكذلك حدث التقليد للآباء والتمسك بما كانوا
عليه من الشرك والضلال، في قوم مدين لما دعاهم نبي الله شعيب -عليه السلام- كما قال تعالى: {
قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ
الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: ٨٧]. وكذلك مع نبي الله موسى -عليه السلام- لما دعى قوم فرعون رفضوا الإيمان
بما جاء به، اتباعاً لفرعون كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود: ٩٦-٩٧].

٢- ثم حدث أول تطور في مفهوم التقليد في عهد الفلاسفة القدامي في سنة ٤٢٧-
٣٤٧ قبل الميلاد^(١) : ففي عهد الفلاسفة اليونانيين خرجت الفلسفة التي أحدثت أثراً جلياً
على موجة النهضة الفكرية التي أتت في القرون المتأخرة، بل لا تزال تلك الجذور القديمة لها أثرها
في غير ما مجال من مجالات العلوم الفكرية إلى الآن.

ومما تكلم فيه الفلاسفة القدامي " التقليد " فقد أعطوا هذا المفهوم بُعداً مختلفاً عن النشأة التي
المعنى الذي نشأ مفهوم التقليد عليه، فذهب أفلاطون إلى أن التقليد أساس في الوجود فذهب إلى
نظرية سماها نظرية المثل، والتي رأى من خلالها : أن الوجود ينقسم إلى ثلاث دوائر: فالدائرة
الأولى هي دائرة المثل و المدركات العقلية وهي دائرة الحقائق الكلية، والدائرة الثانية هي دائرة
العالم المحسوس والطبيعة والواقع، والدائرة الثالثة هي دائرة الفنون، والعلاقة التي تربط بين هذه

(١) نوابغ الفكر الغربي (أفلاطون) : ص ٩

الدوائر الثلاث هي علاقة محاكاة وتقليد (١) .

فهو يقول : أن لكلّ شيء محسوس حقيقةً معقولة، والمعقولات هي الأصل في المحسوسات، وإذا كانت المحسوسات تُدرك بالبصر، فالمعقولات -أيضاً- لها وجود مستقل عند الإله ويسميتها المثل، وهي لا تدرك بالبصر لكن يمكن إبصارها بتوجيه النفس نحو إدراكها، وهذا ما يقصده أفلاطون في تعريفه للفلسفة أنّها: «رؤية الحق أو البصر بالمثل» مما يعني أن هذه النظرية أساس لفلسفته .

وعليه فأفلاطون يفسر بالمحاكاة والتقليد كل حقائق الوجود ومظاهره، وأن الحقيقة في المثل أو الصور الخالصة لكل أنواع الوجود هي المحاكاة والتقليد لما في المثل، وقسم أفلاطون الكون في ضوء فلسفته المثالية إلى عالم مثالي كامل من صنع الإله يضمن الحقائق المطلقة والتي لا يمكن أن نلمسها في الواقع، وعالم محسوس طبيعي مادي هو عالم الموجودات والذي هو ظل أو صورة منقولة من عالم المثل، ومعنى ذلك أن العالم الطبيعي الموجود هو عالم مشابه ومماثل لعالم المثل فهو محاكاة له وصورة عنه، وذلك ما سماه أفلاطون التقليد الأول أي صورة المثل في الواقع (٢) .

ومن هنا يتبين لنا كيف أن مفهوم التقليد أخذ بعداً مختلفاً عن سابقه في هذه المرحلة في عهد الفلاسفة اليونانيين .

٣- ثم لما أتى الإسلام أعطى مفهوم التقليد بُعداً متّزناً : فضبط هذا المفهوم فبين للناس من الذي يتبع وفي ماذا؟ وما الذي لا يتبع أي كان الداعي له ، فأمر الله بالإيمان به وبما جاء به محمد -ﷺ- دون الأخذ بما سواه، فوجب بظهور الإسلام اتباع رسول الله -ﷺ- في دعوته وبما جاء به . كما قال عنه -ﷺ- في حديث العرياض بن سارية -رضي الله عنه- قال : صلى بنا رسول الله -ﷺ- ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات

(١) انظر: نوانغ الفكر الغربي أفلاطون: ١٠٧-١٠٩

(٢) انظر: النقد المسرحي عند اليونان - د. عطية عامر - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤ ص ٨٤

الأمر، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة^(١).

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أمره -ﷺ- لأمره باتباع منهجة وهدية -ﷺ- في كل أوامره ونواهيه .

وقد حذر -ﷺ- عن اتباع الكافرين وتقليدهم فيما يتعارض مع ما جاء به، ونهانا تحديداً عن التشبه بالمشركين، كما قال -ﷺ- في غير ما حديث: "خالفو المشركين" وقال -ﷺ- "خالفوا اليهود والنصارى"^(٢).

وقد بين -ﷺ- حال الناس في التقليد الأعمى في صورة واضحة جلية، فقال -ﷺ- في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد -رضى الله تعالى عنه- أن النبي -ﷺ- قال: (لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟)^(٣).

فتجلى مفهوم التقليد بعد الإسلام أكثر وأكثر، فأصبح يشتمل على محاذير ونواهي حذر من الوقوع فيها، كما أكد على وجوب التزام منهج الله وإقتفاء أثر رسوله -ﷺ- في عموميات الدين وجزئياته.

وتظهر أهمية هذه المرحلة ما حدث خلالها بعد عصر تابعي التابعين، وذلك لأن مفهوم التقليد أخذ بعداً معيّناً في إطار الإسلام، فتكلم في التقليد العلماء وفنّدوا وأسهبوا فيه، فألفت فيه المؤلفات وبوبت له الأبواب، وذلك بعد أن دعت الحاجة إلى كلام أهل العلم فيه.

٤- ثم اشتهر استخدام مفهوم التقليد في الشريعة الإسلامية: وقد استخدم الأصوليين مفهوم التقليد، ويريدون به : تقليد أو اتباع الرجل العامي من المسلمين للعالم فيما ليس بحجة، أي فيما لم يرد فيه نص في القرآن والسنة. فيتبع العامي العالم المجتهد من علماء المسلمين، فيكون اتباع العامي للعالم تقليداً، كما عرفه الجرجاني بأنه: اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في

(١) أخرجه الترمذي [٢٦٧٦] وصححه الألباني ، انظر : صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني : ٤٤/٥

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، لا بن تيمية تحقيق د.ناصر العقل ط ١ دار الفضيلة ١٤٢٤ هـ في الصفحات:

٢٠٤/١٧١/١٤٢/١٣٧/١٣٥/١٢٦/١١٧

(٣) أخرجه البخاري [٣٢٦٩]

عنقه، وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل^(١).

والتقليد بهذا المعنى لم يكن متداولاً في صدر الإسلام الأول، إلى وقت متأخر من عصر التابعين، وعلى رأي ابن حزم فإنه لم يكن للتقليد -أي التقليد بهذا المعنى- أثر في عصر الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، إنما بدأ أول الأمر بعد سنة (١٤٠ هـ) ومن ثم شاع وعم بعد المائتين من الهجرة، فندر من لم يلتزم به ويعول عليه^(٢).

كذلك جاء في إعلام الموقعين لابن القيم^(٣) -رحمه الله- أن التقليد لم يعرف وجه الضرورة في عصر التابعين، وتابعي التابعين، إنما حدث في القرن الرابع الهجري^(٤).

ولعله أراد بذلك انتشار التقليد، وإلا فابن حزم^(٥) -رحمه الله- ذكر ابتدائه سنة ١٤٠ هـ، إلى أن قال ابن القيم -رحمه الله- في رده على دعاة التقليد، ويقصد في رده هنا على المقلدين الذي توسعوا في التقليد، فأوجبوا أن يقلد الرجل عالماً، أو مذهباً لا يخرج عنه في كل شيء، يقول -رحمه الله-: إنا نعلم بالضرورة، أنه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلاً منهم يقلده في جميع أقواله، فلم يسقط منه شيئاً، وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئاً، ونعلم بالضرورة أن هذا لم يكن في عصر التابعين ولا تابعي التابعين^(٦). وأيد أبو زهرة كون مفهوم التقليد بهذا المعنى، منذ القرن الرابع الهجري لكنه كان تقليداً جزئياً ابتداءً، ثم أخذ يتسع نطاقه حتى صار تقليداً كلياً في آخر العصور^(٧).

(١) التعريفات، للحرجاني ص ٩٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم تحقيق أحمد شاكر، ط دار الآفاق الجديد بلبنان ج ٦ ص ١٤٦.

(٣) ابن القيم هو: إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الحنبلي شرف الدين الدمشقي، من أشهر تلامذة ابن تيمية له العديد من المؤلفات في أصول الفقه وفي الفقه وفي العقيدة والرد على أهل الأهواء والبدع توفي -رحمه الله- سنة (٧٦٥ هـ). انظر: هدية العارفين: ١/١٧).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم، تعليق وتخريج مشهور بن حسن السلطان ط الناشر: دار ابن الجوزي ١٤٢٣ هـ: ج ٢ ص ٢٠٨.

(٥) ابن حزم: الإمام علي بن سعيد بن حزم ابن غالب بن صالح الأموي الأندلسي فارسي الأصل، ولد سنة (٣٨٤ هـ) من أكبر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً فقيهاً ظاهرياً، ومجدد القول به، متكلم، أديب، وشاعر، وناقد محلل، سلك طريق نبد التقليد وتخريج الأتباع. يعد من أكبر علماء الأندلس وتوفي سنة (٥٤٦ هـ) (انظر هدية العارفين: ١/٦٩٠).

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم: ٢/٢٠٨.

(٧) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، لمحمد أبو زهرة. الناشر: دار الفكر العربي. ص ٢٨٩.

فتبين لنا أهمية تلك المرحلة في ساحة الفقه الإسلامي وأصوله، والتي ما أتت إلا بعد الصدر الأول من الإسلام .

٥- ثم أخذ مفهوم التقليد منحىً مهمًا في القرون المتأخرة : وهذه المرحلة تعتبر أهم مرحلة في تاريخ هذا المفهوم، ونكاد نجزم بأنها تلك المرحلة التي تحدث عنها النبي -ﷺ- في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي سعيد -رضى الله تعالى عنه- أن النبي -ﷺ- قال: (لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟) (١) .

فقد لقي مفهوم التقليد اهتماماً واسعاً في ساحة الفكر الإسلامي عند المفكرين الإسلاميين المتأخرين منهم والمعاصرين، لما لقيت الأمة بسببه من تبعات، وعند الحديث عن التغيير الذي طرأ على هذا المفهوم لا بد لنا من ربط هذا التغيير لهذا المفهوم بالمرحلة المهمة التي مر بها التاريخ الإسلامي، والتي اعتبر التغيير لهذا المفهوم من نتاج تلك المرحلة :

وهي تلك التي تشكل نهايتها مرحلة تحول، من كون الأمة الإسلامية أمة رائدة متحضرة في شتى المجالات، إلى أمة دب فيها الانهزام، ومن ثم التقليد والتبعية للأمم الكافرة تلك المرحلة التي انتهت بنهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حينما كان المسلمون في بلاد الأندلس -أسبانيا- يشكلون مصدر الحضارة، فكان المسلمون آنذاك في الدرجة العليا التي تفرض على سائر الأمم تقليدهم ومجاراتهم، فسعت الأمم الغربية آنذاك إلى الإتفاق مع المسلمين لإرسال البعثات إليهم ليتعلموا منهم العلوم المختلفة، فكانت الأمة الإسلامية متبوعة لا تابعة.

فقد أرسل ملك إنجلترا جورج الثاني بعثة تعليمية إلى بلاد الأندلس، وفي مقدمة البعثة ابنة أخيه الأميرة دوباتا ووجه خطاب إلى الخليفة الأموي يقول فيه: أردنا لأبنائنا اقتباس حضارتكم لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر نور العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل. حتى بلغت هذه البعثات سنة ٣١٢ هـ في عهد الخليفة الناصر ما يربو على سبعمائة طالب وطالبة (٢) .

(١) أخرجه البخاري [٣٢٦٩]

(٢) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد بن عبد الله البشري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في جامعة أم القرى عام ١٤٠٥ : ص ٦٤٤ ، ٥٣٣

ثم تحولت الأوضاع في البلاد الإسلامية منذ القرن الخامس عشر الميلادي فسقطت الحضارة الأندلسية من أيدي المسلمين، وتبعها الجمود الحضاري والفكري الذي لحق بالأمة في عهد الدولة العثمانية، فأخذت الأمم الأخرى تسير وتتقدم يوماً بعد يوم في الحضارة والرقى والتفوق العلمي في علومٍ يعود معظم مؤسسيها إلى الحضارة الإسلامية، فولد عدد من أبناء المسلمين على أنقاض الدمار الصليبي، الذي غمرَ حطامه كماً هائلاً من تراث الأوائل، تزامن ذلك مع هجوم فكري من أعدائهم فكانت هذه المرحلة هي بداية لانحراف عدد من المسلمين خلف الفكر الغربي.

يقول د. أحمد عبد الرحيم عند حديثه عن هذه المرحلة : تخلل هذه المرحلة، نهضة أوروبا في شتى المجالات بفضل التقدم العملي وما نجم عن ذلك من قوة الغرب في نفس الوقت الذي أهمل فيه العثمانيون الجانب العلمي ليتقنوا مادياً، فالدراسة والبحث ومتابعة التطور والنتائج تؤدي إلى الابتكار والاختراع الذي تستفيد منه الدولة لتصد أعدائها بل تتفوق عليهم^(١).

كما تخللت هذه المرحلة العديد من الظروف العالمية التي تصب جميعها في فرض الهيمنة الفكرية على المسلمين كان من أهمها حملة نابليون في الثامن عشر الميلادي عام ١٧٩٨م، حينما بدأ حملة قومية ضد الكنيسة ورجال الدين، فقامت الحضارة الغربية على حملة علمانية، شعارها فصل الدين عن الدولة والحياة.

وفي عهد محمود الثاني عام ١٨٠٨م بلغ التقليد مبلغه، فقد كان يرسل البعثات إلى أوروبا ثم افتتح مدارس كان معلموها من الأتراك والفرنسيين، وقد كان هو بنفسه يقلد مظاهرات الغرب فيظهر بمظهر العواهل الأوربيين، فقص لحيته وارتدى الطربوش، وكان أول سلطان يشهد الاحتفالات العامة والأوبرات وحفلات رقص البالية التي كانت تعرض داخل السفارات الغربية، كما استقدم الموسيقيين الأوربيين وأنشأ فرقته الموسيقية الخاصة به التي أصبح بإمكانها أن تقدم أعمالها لضيوفه الأوربيين، حتى بدأ السلطان نفسه يتعلم اللغة الفرنسية^(٢).

وهكذا انفتح المجال لحركة الاقتباس من الغرب في البلاد الإسلامية، حتى انفرط الاقتباس فتجرد في كثير من حالاته عن الدين، فوُجعت الأمة في شباك التقليد من غير إدراك أو تأمل لما تتبعه .

(١) أصول التاريخ العثماني : ١٠٤

(٢) انظر : أصول التاريخ العثماني: ١٥٦ - ١٥٧

حتى أدرك الغرب أن الاحتلال الحقيقي لا يكمن في فرض القوة والسلاح على المسلمين، بل يكمن في القدرة على غزو أفكارهم من جذورها وشد انتباههم إلى حضارته وفكره، ومن ثم تسيير ولائهم له، ليأمن بذلك مقاومتهم له التي ذاقها من أسلافهم، وليستمر في فرض السيطرة عليهم ليكون بذلك أعلى درجة منهم بعد أن كان أسلافهم أعلى منه بدرجات.

ومن هنا فإن فرض الهيمنة العسكرية على المسلمين كان من أهم نتائجها أن انتشر تقليد المسلم للكافر حتى يكاد يكون أمراً بديهياً؛ ذلك أن المغلوب يتبع الغالب .

يقول صاحب كتاب العلمانية في الإسلام: ولما كان الغالب هو الغرب والمغلوب هو العالم الإسلامي حيث جثا (الرجل المريض) على ركبتيه، إلى أن سقط، فأتجه المغلوب إلى الغالب يبحثون لديه عن علاجٍ لداء التخلف الذي ساد أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى زماننا هذا^(١).

وذلك يعني أن مرحلة تطور التقليد بدأت تستفحل وتتوسع دائرتها، تحت عمل دءوب لا يألو ليل نهار من قبل الغرب وقياداته، مستعيناً بأذباله من بني المشرق العربي . حتى أصبح التقليد أمراً جلياً منذ ذلك الحين إلى زماننا اليوم في معظم مجالات الحياة، وعلى رأسها المجال الفكري الذي يمس عقيدة المسلم نحو ربه، وإيمانه بخالقه الذي أمره بإتباع نبيه محمد ﷺ - ونهاه عن اتباع ما سواه.

حتى أصبح تقليد المسلمين للكفار داءً عضالاً، منه ما هو مفروض عليهم كالفرض أو الهيمنة في المجال الإقتصادي والسياسي والإعلامي، ومنه ما هو طوعية من غير إكراه، فتأثر عدد كبير من أبناء المسلمين في الحضارة الغربية، فتخلوا عن دينهم وانجروا إلى وحل الحضارة العلمانية والتي تفتقد أعظم ما يحتاجه الإنسان في حياته (الجانب الروحي).

ومن هنا اهتم عدد من المفكرين بهذا المفهوم على إثر انتشاره بين المسلمين وتكاثر المقلّدين للغرب في نهجه وأفكاره، بل كثر في أبناء المسلمين الدعاة للأفكار الغربية في ظل العولمة التي نعيشها الآن، ابتداءً من الأفكار التي تتصادم مع الدين في جزئياته كالدعوة إلى كشف المرأة عن وجهها، وانتهاءً إلى ما يتصادم مع الدين في كليته، كالدعوة إلى العلمانية والتجديد والحرية ونحو

(١) انظر : العلمانية في الإسلام ، إنعام أحمد ممدوح ط ١ الناشر دار السيرة ببلبنان . ص ٥١

ذلك مما يؤدي إلى التخلي عن دين الله .

حتى أطلق بعض الإسلاميين على التقليد لفظا يضاف إليه في كثير من استعمالاته ، وهو التقليد الأعمى ، ويريدون به : عملية اتباع المسلم للكافر، وانقياده وراء الفكر الغربي من غير إدراك ولا تأمل، ولا وعي لما ينجر وراءه مما يتعارض مع الدين، في شتى مجالات الحياة^(١).

(١) انظر نفس البحث : ص ١٩

المبحث الثالث : مفاهيم ذات صلة

المطلب الأول : مفهوم التبعية وصلته بمفهوم التقليد .

المطلب الثاني : مفهوم المحاكاة وصلته بمفهوم التقليد .

المطلب الثالث : مفهوم التشبه وصلته بمفهوم التقليد .

المطلب الأول : مفهوم التبعية وصلته بمفهوم التقليد .

والتبعية : في اللغة مصدر للفعل الثلاثي "تبع" بفتح اللتاء وكسر الباء . وفي لسان العرب، التبعية مصدر للفعل الرباعي "تبعه" .

التبعية في اللغة : التبعية في اللغة له استخدامات متقاربة في المعنى، وهي التي تأتي غالباً بمعنى: اتباع الشيء أو السير خلفه ، إلا أن استخداماتها في اللغة كما يلي :

١ - **بمعنى اتباع الشيء والسير خلفه :** قال في لسان العرب^(١) : **تَبَعَ** الشيءَ **تَبَعاً** و**تَبَاعاً** في الأفعال و**تَبِعْتُ** الشيءَ **تُبوعاً**؛ **سِرْتُ** في **إِثْرِهِ**؛ و**اتَّبَعَهُ** و**اتَّبَعَهُ** و**تَبَّعَهُ** ، أي: تقفى أثره. وكذلك **تَبَّعَهُ** و**تَبَّعْتُهُ** **تَبُّعاً** . و**تَبَّعْتُ** القوم **تَبَعاً** و**تَبَاعَةً**، بالفتح، إذا مشيت خلفهم أو مرؤوا بك فمضيت معهم.

وقال في القاموس المحيط^(٢) : **تَبَّعَهُ**، **تَبَعاً** و**تَبَاعَةً**؛ **مَشَى** **خَلْفَهُ**، و**مَرَّ** به **فَمَضَى** معه. وقال في الصحاح^(٣) : **تَبَّعْتُ** القوم **تَبَعاً** و**تَبَاعَةً** بالفتح، إذا مشيت خلفهم، أو مرؤوا بك فمضيت معهم؛ وكذلك **اتَّبَعْتُهُمْ**. و**اتَّبَعْتُ** القوم، إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم. و**اتَّبَعْتُ** أيضاً غيري. يقال **اتَّبَعْتُهُ** الشيءَ **فَتَبَّعَهُ**. قال الأَخْفَشُ: **تَبَّعْتُهُ** و**اتَّبَعْتُهُ** بمعنى. ومنه قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصفافات: ١٠]

٢ - **بمعنى البحث عن الشيء بدقة :** قال في لسان العرب^(٤) : **وَأَمَّا التَّبَّعُ:** **فَأَنْ تَتَّبَعَ فِي مُهْلَةٍ**

(١) لسان العرب مادة "ت.ب.ع." ع.هـ " ١٦/١

(٢) القاموس المحيط مادة "ت.ب.ع." ع" ص ٧٠٦

(٣) مختار الصحاح مادة "ت.ب.ع." ع " ص ٣١

(٤) لسان العرب مادة "ت.ب.ع." ع.هـ " ١٧/١

شيئاً بعد شيء؛ وفلان يتَّبَعُ مساويَ فلان وأثره ويتَّبَعُ مَدَاقَ الأمور ونحو ذلك. وفي حديث زيد بن ثابت حين أمره أبو بكر الصديقُ بجمع القرآن قال: فَعَلِمْتُ أَنَّتَبَّعَهُ مِنَ اللَّخَافِ وَالْعُسْبِ، وذلك أنه اسْتَقْصَى جميعَ القرآن من المواضع التي كُتِبَ فيها حتى ما كُتِبَ في اللَّخَافِ، وهي الحِجَارَةُ، وفي العُسْبِ، وهي جريد النخل .

٣- **بمعنى طرف الشيء** : قال في لسان العرب ^(١) : والتَّبَعُ كالتابِعِ كأنه سمي بالمصدر. وتَبِعَ كلُّ شيءٍ: ما كان على آخِرِهِ. وقال الأزهري: التَّبَعُ ما تَبِعَ أَثَرَ شيءٍ فهو تَبَعَةٌ؛ وأنشد بيت أبي دواد الإيادي في صفة ظبية: (وقوائم تَبِعَ لها ** من خلفها زرع مُعَلَّقٌ).

٤- **بمعنى التوالي في الإِتباع**: قال في لسان العرب ^(٢) : وتابَعَ بين الأمر مُتَابَعَةً وتَبَاعاً: واتَرَ ووالى؛ وتابَعْتُهُ على كذا مُتَابَعَةً وتَبَاعاً. والتَّبَاعُ: الوِلَاةُ. يقال: تابَعَ فلان بين الصلاة وبين القراءة إذا والى بينهما ففعل هذا على إثر هذا بلا مُهْلَةٍ بينهما، وكذلك رميته فأصبته بثلاثة أسهم تَبَاعاً أي ولاء. وتتابَعَتِ الأشياءُ: تَبِعَ بعضها بعضاً. ويتكرر استخدام هذا المعنى الفقه وذلك على عند الحديث شرط الوضوء على سبيل المثال : فيقال من شروطه، الموالاة والمتابعة، أي وجوب غسل الأعضاء على التوالي وعدم جواز الفصل بينهم، والأمثلة في الفقه كثيرة .

٥- **يطلق على صاحب الحق** : كطالب الدين ، أو الطالب بالدية ، وكل من يطالب بالحق يسمّى "التَّبِيعُ" قال في الصحاح ^(٣) : والتَّبِيعُ: الذي لك عليه مال؛ يقال أُتْبِعَ فلانٌ بفلانٍ، أي أُحِيلَ له عليه. والتَّبِيعُ: التابعُ. وقوله تعالى: {ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَيْنًا بِهِ تَبِيعاً} [الإسراء: ٦٩]. قال الفراء: أي ثائراً ولا طالباً؛ وهو معنى تابعٍ.

وقال في لسان العرب ^(٤) : والتَّبِيعُ: الذي يَتَّبِعُكَ بحق يُطالبك به وهو الذي يَتَّبِعُ الغريم بما أُحِيلَ عليه. والتَّبِيعُ: التابعُ. وقوله تعالى: {فَيُعْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَيْنًا بِهِ

(١) لسان العرب مادة "ت.ب.ع." هـ. ٤١٨/١

(٢) نفس المرجع السابق ٤١٨/١

(٣) مختار الصحاح مادة "ت.ب.ع." ع " ص ٣١

(٤) لسان العرب مادة "ت.ب.ع." هـ. ٤١٩/١

تَبِيعاً} [الإسراء: ٦٩]. قال الفراء: أي ثائراً ولا طالباً بالثأر لِإِعْرَاقِنَا إِيَّاكُمْ، وقال الزجاج: معناه لا تجحدوا من يَتَّبِعُنَا بِإِنكَارِ مَا نَزَلَ بِكُمْ وَلَا يَتَّبِعُنَا بِأَنْ يَصْرِفَهُ عَنْكُمْ، وقيل: تَبِيعاً مُطَالِباً؛ ومنه قوله تعالى: {فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ١٧٨]. يقول: على صاحب الدَّمِ اتِّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ أَي الْمُطَالِبَةَ بِالذِّبَةِ.

٦- يطلق على العمل المتقن : قال في لسان العرب (١) : وَتَابَعَ عَمَلَهُ وَكَلَامَهُ: أَتَقَنَّهُ وَأَحْكَمَهُ؛ ومنه حديث أبي واقد الليثي: تَابَعْنَا الْأَعْمَالَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً أَبْلَغَ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا أَي أَحْكَمْنَاهَا وَعَرَفْنَاهَا. وقال في الصحاح (٢) : وَالتَّبَاعُ: الْوَلَاءُ. قال أبو زيد: يقال تابَعَ الرَّجُلُ عَمَلَهُ، أَي أَتَقَنَّهُ وَأَحْكَمَهُ.

ومن هنا يتبين أن التبعية تتكون من ثلاثة أركان :

١- الأول : المتَّبَعُ : بفتح الباء وهو السابق ، في سيره أو عقيدته أو دعوته التي دعا إليها، فالذي يدعو إلى اتباعه يعتبر في المقدمة، كونه هو صاحب الدعوة التي دعا إليها فهو يعتبر (متَّبَعاً) .

٢- الثاني : المتَّبِعُ وهو الذي يسير خلف المتَّبَعِ ومنه قولهم لعاشق المرأة الذي يجري ورائها. وَتَبِيعُ الْمَرْأَةَ: صَدِيقُهَا، وَهِيَ تَبِيعَتُهُ (٣). وكذلك قولهم : وَتَبِيعُ الْمَرْأَةَ، بِالْكَسْرِ: عَاشِقُهَا، وَتَابِعُهَا (٤). ويتساوى في اللغة كان المتَّبِعُ أو المتَّبَعُ واحداً أو جماعة، قال في القاموس (٥): وَالتَّبِيعُ، مُحْرَكَةٌ: (التابِعُ) يَكُونُ وَاحِداً وَجَمْعاً، وَيُجْمَعُ عَلَى اتِّبَاعٍ، وَقَوَائِمُ الدَّابَةِ. "وكذلك تسمية ملوك اليمن بالتبابعة: والواحد منهم تُبِعٌ" (٦).

(١) نفس المرجع السابق: ٤١٩/١

(٢) مختار الصحاح مادة "ت.ب.ع" ص ٣١

(٣) لسان العرب مادة "ت.ب.ع.هـ" ٤١٨/١

(٤) القاموس المحيط مادة "ت.ب.ع" ص ٧٠٦

(٥) نفس المرجع السابق مادة "ت.ب.ع" ص ٧٠٦

(٦) مختار الصحاح مادة "ت.ب.ع" ص ٣١

٣- الثالث : الموضوع الذي قامت على التبعيّة، وهي الفكرة الذي تابع المتّبع فيها المتّبع، فإذا دعى رجل ما إلى فكرةٍ، أو مذهب، أو منهج، أو رأي ثم تبعه أحد، فإن العملية تتكون من متّبع وهو صاحب الفكرة، وتابع وهو الذي تبعه في فكرته، والموضوع الذي قامت على عمليّة الإلتباع .

التبعية في الاصطلاح :

قبل الحديث عن تعريف التبعيّة في الإصطلاح، لا بد أن نفرق بين التبعية وبين الإلتباع، فالتبعية : تفعيل الإلتباع، فإذا ما تجاوز المتبع فيه الحد المطلوب في الإلتباع سميّ تبعيّة ويسمى المتّبع : توييع (١) : أما الإلتباع فهو : يطلق على كل من اتبع أحداً بفكرةٍ أو منهج، سواء كان هذا المنهج المتّبع صحيحاً أو فاسداً، لذا فقد عبّر القرآن في غير ما موضع بلفظ الإلتباع للمنهج السليم، وعبّر عنه بنفس اللفظ للمنهج الفاسد، فكل من وافق أحداً برأيه فهو تابع له سواءً بالغ حتى وصل حدّ التبعية أو لم يبالغ .

قال تعالى عن المؤمنين : {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥]. وقال تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام- : {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [إبراهيم: ٣٦]. فعبر عن الإيمان به سبحانه ونبد الأصنام (اتباعاً). كما قال سبحانه وتعالى عن الذين اتبعوا أكابر القوم من الكفار : {وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ} [غافر: ٤٧]

وقال سبحانه : { وَبَرُّوْا لِلّٰهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللّٰهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ حَٰجِصٍ} [إبراهيم: ٢١].

وقال سبحانه لإبليس: {اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا} [الإسراء: ٦٣]. فعبر عن من تبع غيره اتباعاً فاسداً بالإلتباع .

(١) القاموس المحيط مادة "ت.ب.ع" ص ٧٠٦

ومن هنا يتبين لنا أن الإتياع على نوعين، إتياع محمود كإتياع النبي محمد ﷺ - وما جاء به، وإتياع مذموم، وهو إتياع دعاة الضلال ومن سار على نهجهم ، كما يجدر بنا هنا أن نخرج على معنى الإتياع في الشرع.

الاتباع في الشرع :

يراد به إتياع القول الذي ثبت الدليل بصحته، فيكون المتبع عاملاً بعلم وعلى بصيرة بصحة ما يعمل به، ويكون متبعاً للدليل الشرعي فكل ما كان يفضي إلى إتياع النبي ﷺ - فيما جاء به فهو الإتياع الذي أمر الله به (١) .

كما قال سبحانه : { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأنعام: ١٥٥]

وقال تعالى: { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام: ١٠٦].

وقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا اتَّبِعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ٢٠٣]. فالعمل بالوحي من الكتاب والسنة هو الإتياع كما دلت عليه هذه الآيات.

وقد عرفه الإمام أبو داود (٢) ، بقوله: أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ - وعن أصحابه (٣). وقال ابن عبد البر الإتياع : هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه (٤).

(١) انظر : أضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٣ / ٧ ، وانظر : جامع بيان العلم ، لا بن عبد البر : ٩٩٣/٢

(٢) أبو داود : الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني الحنبلي المعروف بأبي داود، ولد سنة (٢٠٢هـ) كان عالم أهل زمانه في الحديث صاحب سنن أبي داود له العديد من المصنفات في الحديث وعلوم القرآن توفي سنة (٢٧٥هـ)

(انظر: هدية العارفين ١/٣٩٥)

(٣) أضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٣/ ٧

(٤) جامع بيان العلم ، لا بن عبد البر : ٩٩٣/٢

واتباع النبي -ﷺ- واجب على كل مسلم ، كما قال سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]. فأمرنا سبحانه أن نتعبده بشريعته، ولا سبيل إلى ذلك إلا باتباع النبي -ﷺ- والتأسي به في أقواله وأفعاله، وهذا ما بينه سعيد بن جبير -رحمه الله- بقوله: " لا يقبل عمل إلا بنية موافقة للسنة" ^(١). لذلك حذرنا سبحانه عن مخالفة الرسول -ﷺ- فقال تعالى : {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]. قال ابن كثير في تفسيره لهذا الآية : أن أمر رسول الله -ﷺ- هو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله" ^(٢).

فبين الله لنا الميزان الذي توزن به أعمالنا لتكون مقبولة عنده سبحانه، فما كان خالصاً وموافقاً لما جاء به رسوله محمد -ﷺ- كان مقبولاً، وإلا فلا، وفي هذا يقول -عليه السلام-: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" ^(٣).

التبعية في اصطلاح علم الاجتماع : للتبعية تعريف عند البدوي ^(٤) -Heteronomy- التبعية- وهي أنها : خضوع الأفراد أو الجماعات لقاعدة أو قانون مفروض من الغير بدلاً من الخضوع للقواعد أو القوانين التي يضعها الأفراد أو الجماعات بأنفسهم. وعكسه حكم ذاتي. فنظر إلى التبعية بأنها الإلزام باتباع القوانين والأنظمة في المجتمعات .

ويدرس علماء الاجتماع المعاصرين نظريةً يسهبون الحديث فيها ويسمونها نظرية التبعية " Dependency Theory " ويريدون بها : تبعية دول العالم الثالث للدول المتقدمة. وتقوم نظريتهم على أن تبعية الدول الصغرى للدول العظمى ملزمة ^(٥). كما ذهب إليه البدوي . كما أن علماء الاجتماع يقولون بأن التبعية على أنواع منها ما يسمى : تبعية إقتصادية، ويريدون بها عملية اعتماد الشخص على غيره فيكون بذلك تابعاً له .

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، هبة الله الطبري اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي، الناشر: دار طيبة، ط ٤،

١٤١٦ هـ . ج ١ ص ٦٤

(٢) تفسير ابن كثير : ٦ / ٨٩

(٣) أخرجه البخاري [٢٥٥٠]

(٤) معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية : ١٩٣

(٥) نفس المرجع السابق: ١٠٢

ويقول البدوي^(١) في تعريفه للتبعية الإعتدائية -Dependency- : هي تبعية شخص لآخر من الناحية القانونية أو الاقتصادية كاعتماد الطفل على والديه، واعتماد الزوجة على زوجها لإعالتها .

صلة مفهوم التبعية بمفهوم التقليد :

الإتباع والتقليد :

يخطئ البعض حينما يقول بأن كل متبوع مقلد، كما يخطئ من مجرد كل متبوع من التقليد، ومن هنا فإن أول وأهم فرق بين الإتباع والتقليد:

١ - أن التقليد يحمل معنى الإتباع من غير إدراك ولا تأمل لما يتبع، فالذي يتبع من غير إدراك ولا تأمل ولا وعي لما يتبعه يعتبر مقلداً .

بينما الإتباع قد يكون من غير إدراك وقد يكون مع إدراك، إذا : فكل مقلد يسمى متبوعاً ، وليس كل متبوع مقلداً . فالمتبع قد يسمى مقلداً وقد لا يسمى مقلداً .

وعليه فإن مفهوم الإتباع أوسع مفهوماً من التقليد إذ أن الإتباع يطلق أحياناً على المقلد الذي يتبع غير من غير إدراك ولا تأمل، كما في قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ } [البقرة: ١٧٠].

ويطلق أحياناً على من لا يصح تسميته مقلداً وهو الذي يتبع نور الله الذي أنزل على رسله، كما في قوله تعالى: { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: ١٥٧] وقوله سبحانه : { فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [التغابن: ٨].

فالإتباع نوعان : ١ - تقليد وهو اتباع من غير إدراك . ٢ - اتباع لا يسمى تقليداً وهو اتباع نور الله وما وافقه . أما التقليد : فهو نوعان : ١ - تقليد سلبي، وهذا يحمل معنى أغلب إطلاقات لفظ التقليد، وهو الإتباع من غير إدراك ولا تأمل . ٢ - تقليد إيجابي : وهو في التقليد الذي لا يتعارض مع الشرع، فإذا وافق ماجاء به الشرع سمي اتباعاً ، وليس

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ١٠٣

تقليداً إيجابياً .

قال ابن عبد البر (الاتباع: هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه. والتقليد: أن تقول بقوله، وأنت لاتعرفه ولا وجه القول ولا معناه^(١)). وقد ذكرنا ما قاله ابن عبد البر عن بن حويز البصري وتفرقت بين الإتياع والتقليد فقال : التقليد: الرجوع إلى قول لاحجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والاتباع: ما ثبت عليه حجة، وكل من اتبع قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مُقلده^(٢).

٢- أن التقليد لا يصح تسميته إلا على ما كان في اتباعه نقص ومذمة، فهو في اللغة على معاني عدّة يدور معظمها على معاني النقص، فمعنى الإحاطة ومنه وضع القلادة على العنق، ومعنى الغطاء ومنه قولهم: اقلّوده النعاس أي غطّاه، فكأن المقلّد غطّي على عقله حتى سار خلف المقلّد بلا وعي، وكذا سبق فالسابق من الخيل يسمّى مقلداً^(٣)، وكأن المقلّد أعلى مرتبة من المقلّد فيما قلده، ودائماً ما يرد في القرآن ذكر المقلّدين في معرض ذمهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

أما الاتباع، فقد يكون مذموماً وقد يكون محموداً ، فاتباع الأنبياء والرسل محمود، ومخالفتهم واتباع من خالفهم مذموم.

صلة التبعية بمفهوم التقليد :

من خلال الاستقراء لاستخدام معنيهما في اللغة، فالتقليد يأتي بمعنى اتباع شخص ما في فكرة أو سلوك من غير إدراك ولا تأمل .

أما الإتياع فهو: إتياع شخص ما في فكرة أو سلوك سواء مع الإدراك لها أو من غير إدراك.

(١) جامع بيان العلم ، لابن عبد البر : ٢/٩٩٣

(٢) نفس المرجع السابق ٢/٩٩٣

(٣) انظر : القاموس المحيط مادة "ق.ل.د" ص ٣١٢

أما التبعيَّة : فالتشديد في الياء على وزن فعليَّة يفهم منه المبالغة: فهو تفعيل عملية الإتياع ليتحول من كونه إتياعاً عادياً إلى تبعية صف صاحبها بدوام الإتياع من غير إدراك ولا تأمل، فالتبعية تعني المبالغة في الإتياع حتى يصل صاحبها إلى مرحلة المبالغة في التقليد الذي لا يدرك صاحبه معنى ما يقلّده . أما الإتياع فقد يكون مع إدراك وقد يكون من غير إدراك، فالتبعيَّة تعني إذاً أقصى درجات الإتياع والتقليد، ومن أهم الفروق بينها وبين التقليد:

١- أن التبعيَّة يفهم منها كما ذكرنا إكثار المقلِّد في تقليده للمتبع، حتى يصل حد الذوبان في شخصيته وفي أفكاره، حتى ينجرّ وراءه في كل صغيرة وكبيرة، كالعجل من البقر حينما يتبع أمه، فإن ذهبت شمالاً فهو معها وإن قامت قام وإن جلست جلس، وهذا معنى قوله - ﷺ -: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القدّة بالقدّة، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قيل له: اليهود والنصارى، قال: فمن؟" (١) . وهذا معنى المبالغة في التقليد . أما التقليد، فلا يشترط في إطلاقه على المبالغ من المقلِّدين ، فلو قلّد الإنسان غيره مرّة واحدة قلنا عليه "مقلِّد" وقلنا على عملية اتباعه تقليداً، بينما لا يصح إطلاق التبعيَّة إلا على المكثّر منها. فليس في كل تقليد تبعيَّة، بينما في كل تبعيَّة تقليد، لذا يطلق بعضهم على التقليد بأنه تبعية، فكأنه وصف تقليداً ما بأنه تبعيَّة أي تقليد مبالغ فيه.

٢- أن التبعيَّة مصحوبة بالشعور بالإهزام - والانهزام لغة: يعني الانكسار والتشقق، يقال: انهزم العدو: أي انكسرت شوكته، وشق صفه، وانتصر عليه، فهو منهزم، ومهزوم، والهزيمة في القتال: الكسر (٢).

فالتبعيَّة تعني الإهزام المطلق لشخصية المتبع أمام المتبع، لذا فلا يجزؤ المتبع أن يتخلى عن المتبع، وكأن الحياة لا تستقيم من دونه، وهذا واقع مشاهد عند كثير من المسلمين، فلو قيل: إن هذا المصنوع أو هذا العالم أو هذا الابتكار أو هذه الفكرة أو هذا القانون أو... الخ . من أوربا أو أمريكا أو غيرها من البلاد التي انهزم أمامها بعض ضعاف

(١) أخرجه البخاري [٣٤٥٦]، ومسلم [٢٦٦٩]

(٢) انظر: لسان العرب مادة "ه.ز.م" ٤٦٦٤/٦، المعجم الوسيط مادة "ه.ز.م" بتصرف ص ٩٨٥

النفوس من أبناء المسلمين، لقييل: حي هلا به ومرحباً، طالما أن المصدر هو تلك البلدان التي بالغ البعض باتباعها، ولسارعوا إلى الأخذ به، وتبجيله دونما إدراكٍ أو تمحيص له، فقد يوجد عند المسلمين خيراً منه، بينما لو عزوت هذه الفكرة أو القانون أو الابتكار إلى مسلم، أو إلى بلادٍ إسلامية، لأعرض عنها كل من تمكّنت منه التبعيّة. بينما لا يشترط في التقليد الشعور بالإنهزامية، فليس كل مقلّد منهزم، خصوصاً المقلد تقليداً إيجابياً، كما حدث في تقليد أحد ابني آدم في تقليده للغراب، واقتباسه منه طريقة دفن الميت ، وكما حدث مع النبي -ﷺ- في حفر الخندق ^(١) ، وأخذه بفكرة فارسية، وكذلك استفادة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من تجارب الروم والفرس في أخذه للدواوين ^(٢).

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ١٧١

(٢) الوزراء والكتّاب للجهشياري : ١٢

المطلب الثاني : مفهوم المحكاة وصلته بمفهوم التقليد :

والمحاكاة في اللغة: مصدر الفعل "حاكي" قال في لسان العرب^(١) : حكي الحكاية : كقولك حكيت فلاناً وحاكيتُه فَعَلْتُ مثل فَعَلَهُ أو قُلْتُ مثل قَوْلِهِ أي لم أُجَاوِزْه، وحكيت عنه الحديث حكاية، قال ابن سيده: وحكوتُ عنه حديثاً في معنى حَكَيْتُهُ. ومنه قوله - ﷺ - في الحديث : (ما سَرَّني أَيْ حَكَيْتُ إنساناً وأنَّ لي كذا وكذا أي فعلت مثل فعله) (٢) .

وقال في الصحاح^(٣) : وحَكَيْتُ فِعْلُهُ وحاكَيْتُهُ، إذا فعلتَ مثل فِعْلِهِ وهَيْئَتِهِ، والمحاكاةُ: المشابهةُ. وقال في لسان العرب: وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة^(٤).

من هنا يتبين لنا أن المحاكاة تعني : مماثلة الشيء ومشابته كما قال في الصحاح^(٥)، والمحاكاة على وزن مفاعلات، وتحمل معنى المحاولة على وزن المفاعلة، أي محاولة تقليد الشيء، فالمتلقي الذي يتلقى تدريباً لأمر ما، فإن أول مراحل تحقق تلقيه لما يتعلمه، هي محاكاته لما يتعلمه بشكل صحيح، ومنه يسمون أحد أنواع التعلم، التعليم بالمحاكاة .

وعليه فالمحاكاة تقوم على : ١- المحاكي وهو الذي يقلد ويحاول من خلال المحاكاة. ٢- والمقلن أو المعلم الذي يعلم المحاكي ويساعده كيف يحاكي. ٣- وموضوع المحاكاة الذي تقوم عليه عملية المحاكاة .

المحاكاة في الاصطلاح :

المحاكاة "Mimêsis" مصطلح نقدي، كان شائعاً في بلاد اليونان. وقد استعمله السوفسطائيون، كما استعمله أفلاطون قبل أرسطو، وقد يكون استعماله للتفريق بين "الفنون الجميلة" و"الفنون التطبيقية". والمصطلح في دلالاته القديمة يتضمن معنى "العرض"، أو "إعادة

(١) لسان العرب مادة "ح.ك.ي" ٢/٩٥٤

(٢) أبو داود [٤٨٧٥]، والترمذي [٢٥٠٢]، والدارمي [٢٥٠٠٨] وصححه الألباني انظر : صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني: ٤/٢٦٩

(٣) مختار الصحاح مادة "ح.ك.ي" ص ٦٢

(٤) لسان العرب مادة "ح.ك.ي" ٢/٩٥٤

(٥) مختار الصحاح مادة "ح.ك.ي" ص ٦٢

العرض"، أو "الخلق من جديد"^(١).

وقد جاء في "موسوعة موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب" في تعريف المحاكاة، قوله: المحاكاة: خاصّة من بين سائر قوى النفس، لها قدرة على محاكاة الأشياء المحسوسة التي تبقى محفوظة فيها. فأحيانا تحاكي المحسوسات بالحواس الخمس، بتركيب المحسوسات المحفوظة عندها المحاكية لتلك، وأحيانا تحاكي المعقولات، وأحيانا تحاكي القوة الغاذية، وأحيانا تحاكي القوة النزوعية، وتحاكي أيضا ما يصادف البدن عليه من المزاج^(٢).

- وعرف المحاكاة بأنها: تأتي بمعنى التخيل، والمحاكاة بالمثلثات هو ضرب من ضروب تعليم الجمهور والعامّة لكثير من الأشياء النظرية الصعبة لتحصل في نفوسهم رسومها بمثالاتها، ويراد منهم ألاّ يتصوّروها ويفهموها كما هي في الوجود، ولكن يفهمونها ويعقلونها بمناسباتها، إذ كان فهم ذواتها على ما هي عليه في الوجود عسرا جدّا إلاّ على من سبيله أن يفرد بالعلوم النظرية فقط^(٣).

المحاكاة عند الفلاسفة:

والمحاكاة من أهم قضايا كتابة الشعر عند الفلاسفة. فهم حينما يعددون أنواع الشعر التي كانت معروفة لديهم في الأدب الإغريقي يجعلها قائمة على المحاكاة، فأكثر ما يستخدمون به لفظ المحاكاة مقارنة بالشعر.

يعتقد أفلاطون بأن: الفنان ويسميه "الخالق" عندما يقوم فنّه، فإنه يحاكي العمل الذي يخلقه، ويكتسب شيئا من طبيعته، أو يكسبه (ذلك العمل) شيئا من طبيعته الخاصة التي هي موجودة عليه في المثل العليا^(٤).

كما يرى أفلاطون أن استعمال كلمة "محاكاة" للدلالة على التقليد، ثم بدأ يزيد المعنى عمقا فاستعملها للدلالة على الأسلوب الدراماتيكي الذي ينقل الألفاظ عينها التي تخرج من فم

(١) فن الشعر، لأرسطو، ترجمة د. إبراهيم حمادة الهامش، الناشر: ط ١ مكتبة الأنجلو المصرية ١٠ ص ٦١

(٢) موسوعة المصطلحات الفلسفية عند العرب جيار جهامي ط ١ الناشر: مكتبة لبنان ١٤١٨ هـ ج ١ ص ٧٧٤

(٣) نفس المرجع السابق: ١ / ٧٧٤

(٤) جمهورية أفلاطون، د. أميرة حلمي مطر، الناشر: مهرجان القراءة للجميع (٩٤) بمصر. ص ٥٧

المتكلم^(١) .

ولكن أرسطو نفث فيه روحا ومعنى جديدين لم يخطرا على بال من قبله، فقد جعل المحاكاة أساس كل فن، وجعل الفنون تختلف وفقا لخصائص المحاكاة نفسها. فاختلافها يتمثل في وسائل المحاكاة، كما تختلف بحسب موضوع المحاكاة، أو المادة، أو طريقة المحاكاة، وأسلوبها، وأرسطو يقصد بمحاكاة الطبيعة، تلك القوة الخلاقة التي هي المبدأ المنتج في هذا العالم، فالفن يقلد المنهاج الذي تسير عليه الطبيعة وهي تخلق. فالمحاكاة الشعرية هي ذلك الإلهام الخلاق الذي به يستطيع الشاعر أن يوجد شيئا جديدا على الرغم من استخدامه لظواهر الحياة وأعمال البشر^(٢).

وأرسطو يقول: إن الفن محاكاة، وأفلاطون قد قال من قبله عن الفن إنه محاكاة، كما أن أفلاطون قال بأن المحاكاة هي تقليد النفس للآخرين، كما أن أرسطو كذلك قال بأنها غريزية لدى الإنسان^(٣) .

أما النظرية الأرسطية في الفن عموما (الرسم، والشعر وغيره) ، فهي تقوم بكاملها على مفهوم المحاكاة، فقد كان ينطلق أرسطو في تحليله ودراسته للظاهرة الفنية، على أن الفعالية الشعرية والفنية، لدى المبدعين عموما، تتعلق أساسا بالمحاكاة، وتختلف الأعمال والمبدعات الفنية، تبعاً للأنحاء التي تكون بها المحاكاة، وهي إما ترجع إلى الوسائل أو الموضوعات أو الأسلوب والشكل الفني ، فأفلاطون يرى أن المحاكاة رسم للطبيعة على ما هي عليه، بينما يرى أرسطو أن المحاكاة هي رسم الشيء على أفضل ما هو عليه ، بمعنى رسمه وإضافة إبداع الإنسان فيه^(٤).

والمحاكاة في استعمال أرسطو، هي بالإضافة إلى كونها مبدأ سببيا للرسم والفن عموماً، فهي أيضا وقبل ذلك، مبدأ غريزي في الإنسان، يرتبط به تهيؤ الإنسان لتقبل المعارف الأولية، كما يرتبط به الشعور باللذة الناجمة عن حصول المعرفة والتعلم لدى الإنسان^(٥).

(١) تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، لأبي الوليد بن رشد، تحقيق د.محمد سليم سالم . الناشر: المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية بمصر عام ١٣٩١هـ. ص ٥٧

(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٧

(٣) فن الشعر لأرسطو : ٢٠٣

(٤) نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، مديونة صليحة ، رسالة ماجستير في جامعة أبي بكر بالجزائر ص ٦٣

(٥) فن الشعر لأرسطو : ٢٠٣

ويعرف ابن سينا المحاكاة بأنها : إيراد الشيء مثل الشيء وليس هو هو، فذلك كما يحاكي الحيوان الطبيعي بصورة هي في الظاهر كالتطبيعي، ولذلك يتشبه بعض الناس في أحواله ببعض ويحاكي بعضهم بعضاً، ويحاكون غيرهم . وكأنه يقول بأن المحاكاة لاتنقل الشيء كما هو بل تقدم الشيء على أنه شبيهه^(١).

أما تعريف المحاكاة عند ابن رشد^(٢) : فقد ذهب ابن رشد إلى أن المحاكاة وسيلة في الشعر دون سائر الفنون، فالفنون منها ما وسيلته الألوان والأشكال كما في الرسم، ومنها ما يتوسل به بالأصوات، مثل: الموسيقى، أما في الشعر فالوسيلة التي تعتمد عليها المحاكاة هي الأقاويل^(٣). وذكر ابن رشد أن المحاكاة هي بمعنى التشبيه، فيجعلها مرادفة للتشبيه تارة ومقترنة به تارة أخرى، والمحاكاة مرادفة للتخييل أيضاً عنده، ويذهب إلى أن المحاكاة عندما تكون مقترنة بالتخييل يصبح كل منهما مكملاً للآخر، ويتضح ذلك بقوله : "ويجب على الشاعر أن يلزم في تخييلاته ومحاكياته الأشياء التي جرت العادة باستعمالها في التشبيه"^(٤).

أما المحاكاة عند الفارابي^(٥) : فليست محاكاة الأشياء أو الذوات هي موضوع الشعر عنده، ذلك أنه يجعل الأفعال الإرادية الممكنة الوقوع موضعاً للمحاكاة، ومنا هنا لا تكون المحاكاة عنده مجرد نقل للطبيعية أو الواقع، وإنما هي تصوير لما يمكن حدوثه، فهي وإن استندت للواقع فهي لا تطابقه حرفياً^(٦).

(١) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد د.ألفت كمال الروبي ط ١ ، ١٤٠٤هـ الناشر : دار التنوير

ببلنابن. ص ٨٢

(٢) ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشيد "الحفيد" القاضي، ولد في قرطبة (٥٢٠هـ) مالكي برع في فنون شرعية وطبيعية، له العديد من المؤلفات في علومه المختلفة التي برع فيها فهو عالم فقيه وطبيب وفلسفي وفلكي وفيزيائي ، وتوفي سنة (٥٩٥هـ) (انظر : هدية العارفين ١٠٤/٢)

(٣) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين : ٨٣

(٤) نفس المرجع السابق: ٨٧

(٥) الفارابي : هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، من خراسان، فارسي الأصل ، نشأ ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام بها إلى حين وفاته، وكان رحمه الله فيلسوفاً وإماماً فاضلاً قد أتقن العلوم الحكيمة، وبرع في العلوم الرياضية، وكانت له قوة في صناعة الطب، له مجموعة من المؤلفات ، توفي في دمشق سنة ٣٣٩ هـ. (انظر: كتاب الموسيقى الكبير للفارابي ، مقدمه محققه

عطاس عبد الملك خشبة، ط ١، الناشر : دار الكتاب العربي بالقاهرة . ص ٣)

(٦) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين : ٨٧

وهذا كله يعني أن الفلاسفة جعلوا الأفعال الإنسانية الممكنة خيراً كانت أو شراً موضوعاً للمحاكاة. وفي الوقت الذي لم يحدد فيه الفارابي حدود الممكن في الأفعال الإنسانية سوى أنه "كل ما يمكن أن يقع به الإنسان" نجد أن ابن سينا يرسم حدود هذا الممكن، فهو يرى أن كلاً من الشاعر والمصور "ينبغي أن يحاكي الشيء بأحد أمور ثلاثة : إما بأمر موجودة في الحقيقة، وإما بأمر يقال إنها موجودة وكانت، وإما بأمر يظن أنها ستوجد وتظهر" (١).

والمحاكاة عند علماء الاجتماع : -Mimetism- ويقصد بها موافقة السلوك أو الحالة مع نمط مقرر يخضع لمستوى ثقافي سائد، ويقصد بسياسة المطابقة في الرقابة الاجتماعية نمط من الرقابة موجه بصراحة أو ضمناً لجعل الأوضاع المتفاوتة تتماشى مع بعض المعايير (٢).
أما علماء النفس : فتقوم سيكولوجية المحاكاة عندهم على اعتمادها على تقليد الآخرين، وهي غريزية لدى الإنسان فنحن نتعلم بالمحاكاة ونحاكي منذ الطفولة المبكرة ونبدأ نحاكي الوالدين والمحيطين بنا من الكبار فيما يأتيانه من حركات وخصائص . ومن المحاكاة ما قد يكون عدوى سلوكية كالتشاؤب نأتيه عفويًا ولا إرادياً دون إعمال فكر أو إرادة، مجرد أن آخر يتشاءب، والملاحظة يقوم عليها التعلم غالباً (٣).

صلة مفهوم المحاكاة بمفهوم التقليد :

١ - عرفنا بأن مفهوم التقليد : يطلق ويراد به اتباع الآخرين في فكرة أو سلوك من غير إدراك ولا تأمل لما يتبع، كما أنه يحمل معنى دنو التابع مرتبة أقل ممن يتبعه، فالمقلد أعلى مرتبة من المقلد فيما قلده ، كما أن في التقليد إنهما أمام المتبوع، فالمقلد مهزوم النفس أمام من قلده . إلا أن المحاكاة لا تحمل كل هذه المعاني، فهي تحمل معنى تقليد الآخرين، لكن ليس كل من يحاكي يعني أنه يتبع من غير إدراك ولا تأمل .
فلفظ المحاكاة قائم على المحاولة، فالذي يتعلم لغةً أو مهارة من معلّمه فإنه يحاكيه، وليس كل

(١) نفس المرجع السابق : ٨٩

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : ٢٦٩

(٣) موسوعة عالم علم النفس، حنفي : ٢٧٩/١

من يحاكي يصح أن يقال عنه بأنه يقلد من غير إدراك ولا تأمل ، بل الغالب ضد ذلك، فمثلاً الذي يذهب إلى مراكز تعلم اللغة الإنجليزية أو يذهب إلى مراكز التدريب المهارية المختلفة كالتدريب على الفنون المختلفة كالرسم أو الخط وغيره، أو التدريب على اكتساب مهارة معينة كمهارة الإلقاء، أو الخطابة، أو مهارة بدنية كمهارة ركوب الخيل ونحوه، فهو بهذا يحاكي معلميه، كل هؤلاء لا يمكن أن يقال عنهم إنهم مقلدون بلا إدراك ولا تأمل لما يتبعونه ويتلقونه من مدرّسهم .

إلا إذا كان التقليد والمحاكاة قائمة على الباطل، وكان المحاكون والمتلقون غير مدرّسين لما يتلقونه فتكون المحاكاة بهذا المعنى تقليداً ، مع ملاحظة أن المحاكاة في أكثر أحيائها تخلو من التقليد .

٢- وعرفنا أن المقلد أدنى مرتبة من المقلد، فكما قال في القاموس : والمقلد من الخيل: السابق يُقَلَّد شيئاً ليعرف أنه قد سبق^(١). فالمقلد من الخيل السابق يوقد شيئاً ليعرف أنه قد سبق فيكون المقلد قد سبق بفكرته وعمله من يقلده، فالمقلد سايق، والمقلد مسبق .

إلا أن هذا المعنى مختلف في المحاكاة لفظ التقليد قائم في أكثر حالاته على الدنو والتبعية، أما لفظ المحاكاة فهو في أكثر حالاته قائم على الندية، فأنت حينما تتعلم من معلمك قراءة القرآن، فتعلمك هذا يعتبر محاكاةً له، وأنت في الوقت نفسه تسعى إلى أن تكون مثله أو تفوق عليه، وكم من متعلم فاق معلمه فيما تعلمه، فصار التلميذ شيخاً. أما التقليد فهو انحرافية ودنو أمام المتبع، أما المحاكاة فهي تحمل معنى المجازة لما يحاكي .

٣- التقليد يتسم بالجمود، وتعطيل إبداع الإنسان وإهماله إياه، أما المحاكاة فتقوم على محاولة الإنسان للإبداع فيما يحاكي والإضافة عليه ليكون على أحسن ما يمكن أن يكون عليها، لذا يطلق الفلاسفة على كتابة الشعر الوصفي، الذي يقوم الشاعر من خلال بوصف الواقع على صورة قد تكون مختلفة عنه، من خلال التخيل ووصف الشيء أكبر مما هو عليه، فيطلق الفلاسفة على هذه العملية محاكاة .

(١) انظر : القاموس المحيط ، مادة "ق.ل.د" : ٣١٢

فقد ذهب أرسطو في نظرتة للمحاكاة التي اعتبرها غريزة طبيعية لدى الإنسان ، ورأى أن فيها أساسا لكل عمل فني (الشعر الرسم وغيره من الفنون) إذ يقول : " إن شعر الملاحم وشعر التراجيديا و كذلك الكوميديا والشعر المدائحي (الديترامب) ، وإلى حد كبير النفخ بالناي واللعب بالقيثارة^(١) كلها أنواع من المحاكاة^(٢) .

فهو لم يطرح عملية التقليد المباشر للواقع من خلال المحاكاة وإنما تناول ماهية المحاكاة من خلال تفصيله لبناء الفنون، ومن خلال تحليله لتأثيرها على المشاهد، فيقول أرسطو إن لدى الإنسان ما يمكنه من القوى العقلية ليتنج أو ليصور الشيء على أحسن ما هو عليه أو يضيف عليه شيئا لم يكن فيه، فيكون ذلك إبداعا وابتكارا جديدا من الإنسان، فالشجرة التي يقوم الرسام برسمها فهو يضيف عليها ما يزيد من جمالها، وقد يبتكر شجرة جديدة ليس لها أصل في الواقع، إنما الرسام هو الذي أبدعها وابتكرها فكان ابتكاره هذا محاكاة يطرأ عليهما إبداع الإنسان، فهو يرى أن ما يقوم به الشاعر من وصف للطبيعة التي يعيشها فإن ذلك يعتبر تصويراً أدبياً يظهر فيه إبداع الإنسان. أما التقليد فهو يتسم بالجمود الذي عطل الإنسان معه تلك القوى الفكرية التي أودعها الله إياه .

فتكون صلة مفهوم المحاكاة بمفهوم التقليد صلة تباينية، فالتقليد شيء يختلف عن المحاكاة . إذ أن التقليد سمة يوصف بها من تبع غيره في فكرة أو نحوها، لكن المحاكي هو من يمارس عملية التلقي من الآخرين فيطلق على تلقّيه ذا ومحاولة الإكتساب ، محاكاة . لكنهما يلتقيان في نقطة واحد فيحملان نفس المعنى وذلك فيما : إذا كان المحاكي يقوم بالمحاكاة من غير إدراك ولا تأمل لما يحاكي ، فيعتبر مقلداً إذا كانت محاكاته لما يتعلمه من غير إدراك ولا تأمل . فيصح تسميته بهذا الحالة مقلداً كوصفٍ لتلقّيه من غير إدراك، ومحاكياً لعملية محاولته محاكاة الآخرين .

(١) آلة موسيقية.

(٢) التراجيديا والفلسفة : ٦١

المطلب الثالث : مفهوم التشبه وصلته بمفهوم التقليد :

وقبل الشروع في هذا المفهوم وما يتعلق به، أود أن أنبه إلى أن هذا المفهوم هو أشهر لفظ يرد استخدامه في الشرع في باب النهي عن تقليد الكفار أو التبيعة لهم على اختلاف أسلوبه ومستوياته، فالتشبه هو المفهوم الذي ورد نهي الشرع عن تقليد الكفار بلفظه، وإن نهي الشارع الحكيم عن التشبه بهم في المأكل والملبس ما هو إلا سد لذريعة تفضي إلى الأخذ بدينهم، فالذي يقبل تقليد الكفار في بادئ الأمر في المظهر، ومن ثم تتسع دائرة الأخذ منهم من المظهر إلى أدق التفاصيل، فإن ذلك يفضي إلى ضعف عقيدة الولاء والبراء عنده، وشيئاً فشيئاً حتى يصل الأمر إلى اعتناق الكفر والعياذ بالله، فليحذر المسلم من أن يقع في هذا المزلق الخطير، الذي انتشر في هذا الزمان فكثرت دعاة التغريب والعلمانية وغيرها من بنيات الغرب، حتى كان هؤلاء الذين هم من أبناء المسلمين أكثر ضرراً في حربهم الفكرية على المسلمين من أرباب الكفر .

التشبه في اللغة : مصدر الفعل الثلاثي " شبه " وقد جاءت في اللغة بمعنيين، الأول: المشابهة والمماثلة، والثاني: الالتباس والإشكال، قال في الصحاح: " (شبه) الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً. يقال : شَبِهَ وشَبَّهَ وشَبَّيَه . والشَّبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمشبَّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران إذا أشكلا"^(١)، قال في لسان العرب: "وتشبه فلان بكذا والتشبيه التمثيل"^(٢).

ومن قوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} [النساء: ١٥٧].

كما تدل الكلمة على أكثر من معنى، فهي على صيغة (تفعَّل) وتفعَّل تأتي في اللغة على عدة معانٍ، أولها: مطاوعة فَعَّلَ كقولك كسَّرت الأقلام فتكسرت، وثانيها: الاتخاذ^(٣). كتوسد ثوبه أي

(١) لسان العرب مادة "ش.ب.ه." ٢١٤٦/٤ ، والقاموس المحيط مادة "ش.ب.ه." ١٢٤٧

(٢) لسان العرب مادة "ش.ب.ه." ٢١٤٧/٤

(٣) لسان العرب مادة "ش.ب.ه." ٢١٤٧/٤

اتخذة وسادة، وثالثها: التكلف^(١)، كقولك: تصبّرت، أي تكلفت الصبر، ورابعها: التجنب^(٢).
مثل: تخرّج، أي تجنب الحرج، وخامسها: التدرج^(٣). كقولك: تجرعت الماء، أي شربت الماء جرعة
بعد جرعة، ومثله تحسيت وسادسها: الصيرورة^(٤)، مثل: تزوج فلان إذا صار زوجاً.

ففي التشبه معنى تكلف الفعل، وعلى هذا فإن الذي وقع منه التشبه بدون تكلف الفعل ذاته
لا يكون قد فعل التشبه، وإنما قد حصل منه مطلق المشابهة، فلا يدخل في التشبه بمعناه اللغوي،
وفيه معنى الصيرورة من حال إلى حال، فلا يكون متشبهاً من كان يمارس ما هو معتاد بالنسبة له
ولجنسه ونوعه. وفي التشبه معنى الإظهار فمن فعل ما فيه مشابهة لغيره مع إخفائه لا يعد تشبهاً
بالمعنى اللغوي ما دام خفياً، وإن كانت كل هذه الأفعال لا تخرج عن مطلق المشابهة^(٥).

التشبه في الاصطلاح : التشبه في الاصطلاح يراد به موافقة الإنسان لغيره موافقة شديدة في
سوك أو اعتقاد^(٦) والتشبه قد يكون سلبياً وقد يكون إيجابياً، أما السلبى فهو مثل التشبه بالكفار،
وأما الإيجابى فهو التشبه بالصالحين ومنه قول الشاعر:

أفناهم عنهم وقد كشفت لهم
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
حجب البقا فتلاشت الأرواح
إن التشبه بالكرام فلاخ

قال في "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" في تعريفه للتشبه: التشبه - Similarity -
يقصد به التشابه بين الشيئين اشتراكهما في عناصر واحدة، أو علاقات واحدة. والتشابه قد يكون
اتحاداً في الكيف كتشابه الشيئين في اللون أو النشأة وفي الحجم كتشابه الشيئين في الحجم أو
الوزن. ويقال في علم النفس قانون التشابه Law of similarity للتداعي الفكري بمقتضاه

(١) نفس المرجع السابق مادة "ش.ب.هـ." ٢١٤٧/٤

(٢) نفس المرجع السابق مادة "ش.ب.هـ." ٢١٤٧/٤

(٣) نفس المرجع السابق مادة "ش.ب.هـ." ٢١٤٨/٤

(٤) الواضح في علم الصرف، د. محمد خير الحلواني، الناشر: دار المأمون للتراث بدمشق، ط١، ١٤٠٧هـ. ص: (١٢٠ - ١٢١)

(٥) بعض مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث و أثرها على المسلمين، أشرف بن عبد الحميد بارقعان؛ رسالة مقدمة لنيل درجة

الماجستير بقسم العقيدة في جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ. ص ١٥

(٦) كما عرّفه الغزوي -رحمه الله- بقوله: "هو محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، أو هو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده".

تستدعي فكرة ما فكرة أخرى تتشابه معها في بعض النواحي^(١).

تعريف التشبه في الشرع : عرّفه المناوي^(٢) - رحمه الله - فقال شارحاً لحديث: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(٣) : "أي تزَيَّن في ظاهره بزيهم، وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم وهديتهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي وكأن التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن"^(٤)، وهنا يقصد المناوي التشبه الكامل الذي ينطبق على فاعله قوله - ﷺ -: (فهو منهم). ولم يتعرض إلى تعريف التشبه الجزئي والذي لا يقع عليه وعيد الحديث كاملاً، ولكنه لا يخلو من وقوع في التشبه المحرم والمنهي عنه شرعاً .

وأما تعريف الإمام الغزي^(٥) - رحمه الله - فقد قال: "هو عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته وحليته ونعته وصفته، أو هو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده وتعلمه"^(٦)، وهنا نجد الإمام الغزي رحمه الله يعرف أيضاً التشبه الكامل الذي يكون صاحبه به قد شابه به الطرف الآخر من كل وجه، ولذلك قال: وعلى هيئته وحليته ونعته وصفته، أي: في كل أمره، وهذا يقصد به التشبه الذي ينطبق عليه قوله - ﷺ -: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(٧)، فإن هذا النوع من التشبه هو الذي عليه الوعيد في قوله - ﷺ -: (فهو منهم) وأما من كان تشبهه بهم تشبهاً جزئياً في شيء مما اختصوا به فإنه لا ينطبق عليه كامل وعيد الحديث، ولكنه بلا شك لا

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية د. أحمد بدوي ص ٣٧٧

(٢) المناوي هو : الإمام عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن زيد العابدين المقلب زين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، ولد سنة ٩٥٢هـ، كان عالماً جليلاً حتى أنه لقب بشافعي زمانه له مؤلفات كثيرة في التفاسير وفي الحديث، وتوفي سنة ١٠٣١هـ (انظر: الإنخفات السنّية بالأحاديث القدسية، للمناوي، في مقدمة المحقق : محمد عفيف الزعبي، ط ٤، ١٣٩٨هـ الناشر: مؤسسة الزعبي ص ١١).

(٣) أخرجه أبو داود [٤٠٣١] وصححه الألباني ، انظر إرواء الغليل للألباني : [١٠٩/٥]

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، لجلال الدين السيوطي، الناشر : دار المعرفة بلبنان : ط ٢، ١٣٩١هـ : ج ٦ ص ١٠٤
(٥) الغزي هو: الإمام أحمد بن عبد الله بن مفرج بن بدر الدين الغزي الشافعي المقرئ المحدث بدمشق، شرح ألفية ابن مالك، وجمع الجوامع للسبكي، والحاوي الصغير للقزويني، ومنهاج الوصول للبيضاوي وغيرهم ، توفي بمكة سنة (٨٢٢هـ) (انظر: هدية العارفين : ١٢٢/١ ، ومقدمة كتاب التشبه تحقيق نور الدين طالب).

(٦) حسن التنبه لما ورد في التشبه، لمحمد بن محمد العامري الغزي الشافعي، تحقيق: نور الدين طالب ، الناشر : دار النوادر ط ١، ١٤٣٢هـ، : ٢/١ ب.

(٧) أخرجه أبو داود [٤٠٣١] وصححه الألباني ، انظر إرواء الغليل للألباني : [١٠٩/٥]

يسلم من الإثم، قال شيخ الإسلام: "وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم"^(١)، وعلى هذا فإن تعريفه لم يشمل التشبه الجزئي الذي لا يعدو أن يكون محرماً.

وقد عرّفه من المعاصرين الباحث عثمان دوكري في رسالته: "التدابير الواقية من التشبه بالكفار" فقال: "هو تمثل المسلم بالكفار في عقائدهم، أو عباداتهم، أو أخلاقهم، أو فيما يختصون به من عادات، أو خضوعه لهم بشكل من الأشكال"^(٢)، فأفاد أن التشبه المنهي عنه يقع بفعلها أو أحدها .

ومن التعاريف النافعة للتشبه ما أورده الشيخ الدكتور ناصر العقل حيث قال: "هو مماثلة الكافرين بشتى أصنافهم، في عقائدهم، أو عباداتهم، أو عاداتهم، أو في أنماط السلوك التي هي من خصائصهم"^(٣).

التشبه بالكفار في الشرع : ورد في الشرع النهي الصريح عن التشبه بالكفار فقال -ﷺ-: "من تشبه بقوم فهو منهم"^(٤). فدل على تحريم التشبه بالكفار، فحرم التشبه بكل ما يتسم به الكفار أو عرفو به، ابتداءً بالمظهر والسلوك، وانتهاءً بالفكر والاعتقاد، وعليه فالتحريم على درجات فمن تشبه بهم في كل شيء خرج عن دائرة الإسلام والعياد بالله، ومن تشبه بشيء دون شيء فيكون الحكم بناءً على ما وقع التشبه فيه من التشبه، فقد يكون من نواقض الدين، وقد يكون من الكبائر، وقد يكون من المحرمات، وقد يكون التشبه من المباحات إذا كان التشبه في شيء من أمور الدنيا مما لا يتعارض مع الدين . وعليه فالحكم بناءً على ما يترتب عليه التشبه^(٥).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٧٠/١

(٢) التدابير الواقية من التشبه بالكفار، عثمان دوكري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في قسم الدعوة بجامعة الإمام ١٤١٨ هـ، ٥٠/١

(٣) ذكره : أد. ناصر العقل في تحقيقه لاقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص ٧.

(٤) أخرجه أبو داود [٤٠٣١] وصححه الألباني ، انظر إرواء الغليل للألباني : [١٠٩/٥]

(٥) انظر إلى : اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٨/١ ، ٦٦/١

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ^(١) -رحمه الله- : "فقد يحمل هذا أي قوله -ﷺ- "فهو منهم" على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية، أو شعاراً للكفر، أو للمعصية كان حكمه كذلك" ^(٢) .

النهي عن التشبه في القرآن الكريم:

ورد النهي عن التشبه والتقليد للكفار في آيات عديدة وأساليب متنوعة منها:

١- بيان أن تقليد الكفار وطاعتهم منه ماهو ردة ، فقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} [محمد: ٢٥-٢٦].

٢- بيان أن في ذلك خطراً عاماً على مصالح الأمة وكيانها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وُدُّوْا مَا عٰتٰتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران: ١٨٣].

٣- التحذير منهم وعدم الاغترار بخصالهم السيئة، وأهوائهم المضللة: قال تعالى: {وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا وَاقٍ} [الرعد: ٣٧]. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ

(١) ابن تيمية هو : الإمام العالم أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، ولد بخران سنة (٦٦١)هـ عالم إمام مجدد سمي بشيخ الإسلام، لفضله على من بعده اشتهر بالرد على أهل الأهواء، لا يخلو علم لم يصنّف فيه، عرف بقوة الحفظ والدهاء، لا يكفي في ترمته مئات الصفحات فكيف بأسطر توفى -رحمه الله- وهو مسحون بدمشق سنة (٧٢٨)هـ (انظر إلى اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية مقدمة المحقق د. ناصر العفل، ط ١ ، ١٤٢٤هـ الناشر : دار الفضيلة ص٧-٩)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٨٣/١

وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ { [المائدة: ٥١]

٤- بيان حقدهم ومكرهم وتمنيهم الشر للمسلمين: قال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: ١٠٩]. وقال تعالى: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [البقرة: ١٠٥].

٥- التحذير من سلوك منهجهم وتقليدهم، وذلك بذكر القصص للأمم الغابرة وما نزل بها من عذاب الله، وأن ذلك مصير كل من عمل عملهم فقال تعالى، بعد ذكر إجلاء اليهود: { يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } [الحشر: ٢]. وقال عز وجل في سورة يوسف: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ الْيُؤْمِنُونَ } [يوسف: ١١١]. والآيات في ذكر قصصهم على سبيل الذم كثيرة .

النهي عن التشبه في السنة:

وقد ورد النهي في السنة المطهرة في أحاديث كثيرة وبعبارات مختلفة منها:

١- إلحاقه - ﷺ - للذي يتشبه بالكفار بأنه ما هو إلا واحد منهم، وذلك في الذي يتشبه بالكفار في الاعتقاد ، ومنه ماورد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : " من تشبه بقوم فهو منهم " (١).

٢- نهيه - ﷺ - وتحريمه لنوع معين من أنواع الألبسة؛ وذلك لأنه من الألبسة الشهيرة عند الكفار ، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي قال له حين رأى عليه ثوبين معصفرين:

(١)- أخرجه أبو داود [٤٠٣١] وصححه الألباني ، انظر إرواء الغليل للألباني : [١٠٩/٥]

"إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها"^(١) . فتعليه بأن هذه الثياب من ثياب الكفار يقتضي المنع من كل ما كان من خواص الكفار.

٣- إخباره -ﷺ- ووصفه لحال المسلمين في التشبه الذي بلغ أسوء مراحل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ- "لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قيل يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال فمن " ^(٢) .

٤- نهيه -ﷺ- عن فعل الشيء وتعليه للنهي بمخالفة المشركين، وفيه إيحاء صريح على وجوب ترك الشيء إذا كان في تركه مخالفة للمشركين ، كما ورد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله -ﷺ- قال: "خالفوا المشركين وفروا للحى وأحفوا الشوارب" ^(٣) . وحديث عبد الله بن عمرو " لما لبس الثوبين المعصفرين " ^(٤) . وهذه النصوص ونظائرها تقضي بجرمة التشبه بالكفار؛ لأنه ذريعة مفضية إلى الكفر أو المعصية، والشرع جاء بسد الذرائع .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في حديث نهيه -ﷺ- لعبد الله بن عمرو عن لبس الثوبين: "علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك " ^(٥) .

صلة التشبه بمفهوم التقليد :

تداخل مفهوم التشبه بمفهوم التبعية بشكل كبير، فلا بد لنا هنا من ربط التشبه بمفهوم التقليد، والتبعية ليكون المفهوم واضحاً جلياً .

(١)- أخرجه مسلم [٢٠٧٧]

(٢)- أخرجه البخاري [٣٤٥٦] ومسلم [٢٦٦٩] .

(٣) - أخرجه البخاري [٥٥٥٣]

(٤) - أخرجه مسلم [٢٠٧٧]

(٥) - اقتضاء الصراط المستقيم: ٢١٤/١

عرفنا أن المراد بالتقليد ، اتباع الآخرين في فكرة أو سلوك من غير إدراك ولا تأمل، وعرفنا أن التشبه ، يراد به المبالغة في تقليد الكفار أو غيرهم في فكرة أو سلوك، وعرفنا أن التبعية تعني المبالغة في التقليد المتزامن بالشعور بالانهزامية أمام المقلد .

١- فاتحدت المفاهيم الثلاثة في كونها تعمل معنى التقليد، فالذي يتبع غيره في فكرة أو سلوك يسمى مقلداً واتباعه تقليداً . وكذلك يعتبر متبعاً ويعتبر مشابهاً، لكن مفهومي التبعية والتشبه اشتملا على معاني أخرى إضافية أوسع مما اشتمل عليه مفهوم التقليد. فليس كل مقلدٍ يسمى متبعاً أو متشبهاً .

٢- واتحد مفهوم التشبه والتبعية على المبالغة في التقليد، فالتشبه على وزن "تفعل" ومن معاني "تفعل" التكلف، أي التكلف والمبالغة في المشابهة^(١) ، فالذي يتشبهه بغيره تشبهها تزامن معه المبالغة في المشابهة فهذا تشبهه، أما الذي يتشبهه من غير مبالغة في التشبه، فهذا لا يسمى "متشبهاً" بالتشديد، بل يصح تسميته مقلداً أو مشابهاً ويطلق على عملية أخذه للفكرة من غيره تقليداً أو مشابهة دونما "تشبه".

٣- كما اتحد مفهومي التشبه والتبعية في أمر ثالث، وهو الشعور بالانهزام أمام المتبوع أو المتشبه به، بينما التقليد لا يلزم منه ذلك، فلا يمكن أن يكون المتشبهه بغيره مشابهاً مبالغ فيها إلا وشعوره الداخلي يفضي إلى انهزام نفسه، وانكسارها أمام الذي تشبهه به، خصوصاً التشبه السلبي كالتشبه بالكفار، فلو كان أخذه لفكرة أو سلوك من غير انهزامية لما سمي "تشبه" بالتشديد ولسمي مشابهاً، إذ إن التشبه يعني أقصى درجات المشابهة والتكلف في هذا، وإذا وصل حد التشبه فإنه بذلك عطّل جميع إبداعاته الفكرية والعقلية، فكان بذلك مكسور النفس مهزوماً أمام من يتبعه، فمتى ما وصل هذا المستوى بالمسلم فإنه واقع لا محالة في المحذور الذي نهى عنه الشارع الحكيم، والذي يفضي إلى اهتزاز عقيدة المسلم، التي بدأت تنهزم أمام الكافر، فيبدأ المنهزم بالأخذ منه والتشبه به حتى يتخلى عن دين الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "فقد يحمل هذا^(٢)، على التشبه المطلق فإنه يوجب

(١) - إنظر ص ٧٦ من نفس البحث .

(٢) وهو قوله -ﷺ- : (من تشبه بقوم فهو منهم) صححه الألباني ، انظر إرواء الغليل للألباني: [١٠٩/٥].

الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك^(١)، وهذا الذي يصبو إليه الغرب الكافر ليل نهار، كما قال تعالى : {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ق } [البقرة: ١٢٠]. وقال سبحانه : {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَزُدُّوكُم مِّن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } [البقرة: ٢١٧]. مع التنبيه هنا على أن التبعية تحمل الإلزامية المطلقة أمام المتبع، أما التشبه فيغلب عليه ذلك .

٤- واتحد مفهومي التشبه والتقليد، عن مفهوم التبعية، في أن التشبه والتقليد كمفاهيم لا يفهم منهما إلزام التشبه به للمتشبه، بل الذي يفهم الطوعية المطلقة من غير أدنى إلزام، فتحد الذي يتشبهه ينقاد خلف مغريات الغرب طواعيةً منه من غير إلزام، وهذا أقبح معاني التقليد، الذي يصل حد الانبهار بما لدى الآخر، فينجر وراءه المتبع برغبةٍ شديدةٍ في الانبعاث، كما قال -ﷺ- " حتى لو دخلو جحر ضبٍ لدخلتموه"^(٢). ووضح من نص الحديث عدم إلزام المتبع لمن اتبعه بذلك، بل إنه يوم القيامة يتبرأ المتبع ممن تبعه، دلالة على بعد الجفوة بينهما ذلك أن طريقهما الغي و الضلال، كما قال تعالى كما قال سبحانه: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

أما التبعية ففي بعض حالاتها تكون إلزاماً من قبل المتبع، فتشتمل على أنواع من بينها إلزام المتبع للمتبع بالتبعية كتبعية شخص لآخر من الناحية القانونية أو الاقتصادية كاعتماد الطفل على والديه، واعتماد الزوجة على زوجها لإعالتها^(٣)

٥- كما اتحد مفهومي التشبه والتقليد، عن مفهوم التبعية، في أنهما يشتملان على الجانبين السلبي والإيجابي ، فليس كل تشبه يعتبر تشبهاً سلبياً ، حتى وإن كان في ذلك تكلفاً ،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٨٣/١ .

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٥٦]، ومسلم [٢٦٦٩] .

(٣) انظر : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ١٩٣ / ١٠٣ .

كما قال الشاعر :

فَتَشَبَّهُوا إِن لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشَبَّهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ

وقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في بيانه لأن المتشبه في الظاهر يفضي به الأمر إلى التشبه في الباطن : " فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم " (١). وهذا يعني اشتغال التشبه على المعنى الإيجابي لكنه في معظم أحواله سلبياً لأن التكلف فيه قد يقود إلى فساد طريقة الإتياع ، فيتجاوز الأمر من كونه اتّباعاً إيجابياً إلى كونه اتّباعاً سلبياً .

٦- هناك فرق خاص بالتشبه عن سائر المفاهيم الثلاثة، وهو أن التشبه يراد به في معظم حالاته التشبه بالظاهر (٢) ، لذلك فأهل العلم دائماً ما يجذرون من أن التشبه بالظاهر يفضي إلى التشبه بهم في الباطن، كما قال ابن تيمية - رحمه الله - : "المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس " (٣).

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٩٤/١ .

(٢) انظر: أثر التقليد المذموم في الدعوة، لمحمد غالب حسان، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

عام ١٤٢٨هـ، ص ٢٢

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٩٤/١ .

جدول بياني لمعاني المفاهيم ذات الصلة بالتقليد

التشبه	التبعية	الاتباع	المحاكاة	التقليد	دلالات المفهوم
✓	✓	✓	✓	✓	اتباع الآخرين
✓	✓	أحياناً	أحياناً	غالباً	اتباع من غير إدراك ولا تأمل
✓	✓	-	-	-	فيه معنى التكلّف
غالباً	-	-	-	أحياناً	تقليد في الظاهر
-	✓	✓	-	✓	قد يكون ملزماً
✓	✓	أحياناً	-	أحياناً	الشعور بالانتهزامية
✓	✓	✓	أحياناً	✓	علو المتّبِع على المتّبِع
✓	✓	-	-	-	المبالغة في الاتباع
✓	-	✓	✓	✓	يشتمل على معنى سلبي وإيجابي
✓	✓	متساوي	-	✓	يغلب عليه المعنى السلبي
-	✓	-	-	-	يخلو من المعنى الإيجابي

هذه هي أهم الفروق بين المفاهيم ذات الصلة بالتبعية والمحاكاة والتشبه، وبين التقليد وقد أضفت في هذا الجدول مفهوم الإتياع؛ وذلك لارتباطه بالتبعية، والفروق بين المفاهيم واضحة كما هي في الجدول البياني.

المبحث الرابع : آثار مفهوم التقليد.

المطلب الأول : أثر التقليد على العقيدة والفكر الإسلامي.

المطلب الثاني : وأثر التقليد على السلوك والعادات والقيم.

المطلب الثالث: وأثر التقليد على الحضارات والدول.

المطلب الأول : أثر التقليد على العقيدة والفكر الإسلامي: للتقليد أثر بالغ على عقيدة

المسلم تجاه ربه، فالإسلام حينما رسّخ العقيدة الإسلامية لدى المسلم، أمره بلزومها والتسمك بها، بل دعى إلى كل ما يؤدي التمسك بها، فقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: ١٩٠] وقال سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤].

فأمر سبحانه بالتفكير في مخلوقاته؛ لأن ذلك يزيد من إيمان العبد بخالقه، كما ذم الله سبحانه أولئك المعطلين للتفكير، فتمر عليهم الآيات والتندر وهم عنها غافلون، كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِيُونَ} [الأعراف: ١٧٩]. قال أبو الدرداء -رضي الله عنه- : "تفكر ساعة خير من قيام ليلة" .^(١)

كما حذر سبحانه من كل ما يقلل من إيمان العبد بخالقه، فممنع العبد من إتيان المحرمات والمعاصي فكل معصية يرتكبها العبد فهي تقلل من إيمانه بخالقه، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ومن الأمور التي منعها الله عز وجل حفاظاً على عقيدة المسلم تجاه ربه، التقليد السلبي الذي يتبع صاحبه الآخر من غير إدراك ولا تأمل، فيفضي ذلك إلى تقليد الكفار من غير إدراك ولا تأمل، فيؤدي به ذلك إلى التشبه بهم في كل شيء، حتى يصل به الأمر إلى تخلي المسلم عن عقيدته تجاه

(١) هذا النص لا تصح نسبته إلى رسول الله -ﷺ- فقد رواه ابن المبارك وهناد في الزهد موقوفاً على أبي الدرداء، ورواه ابن أبي شيبة موقوفاً على الحسن البصري. انظر : ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق : ١٥٠/٤٧ .

خالقه تبارك وتعالى، لذا حرّم الشارع التشبّه بالكفار ونهى عنه في غير ما موضع^(١) ومن آثار التقليد على عقيدة المسلم:

١- إن تقليد الكفار والتشبه بهم يقود إلى المودة للكفار، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "الموالاة والمواودة: وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم، ثم قال -رحمه الله- : ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع ما من الموالاة والمواودة، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة - كما توجبه الطبيعة وتدل عليه العادة - ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات"^(٢). فمشاركتهم في فعلهم الظاهر إما أن تكون سبباً موصلاً إلى المودة لهم وذريعة لذلك، وإما أن تكون عائقاً لترك موالاتهم وموادتهم بالقلب؛ "ذلك أن التقليد بمختلف صورته يقود إلى محبة المقلّد شاء المقلّد أم أبي، ولعل ذلك ما يفسر لنا حرص الإسلام الشديد على منع تشبه المسلمين بأعدائهم، أو تقليدهم لهم؛ فإن السبب الرئيس في ذلك أن يبقى الجدار العدائي الفاصل بين المسلم والكافر قائماً صلباً، فلا يتأثر موقف المسلم المتصل باعترازه بما عنده ورفضه لما عند أعدائه أبداً، ولم يضعف ولا يلين"^(٣).

ويقول ابن تيمية -رحمه الله- : "إذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة لهم فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان"^(٤). قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا

(١) انظر : ص ٧٩ نفس البحث.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ص ١١٦ .

(٣) المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، لعبد الله بن حمد الشبابة، الناشر دار طيبة بالرياض ط ٤ ، ١٤٢٣هـ ، ص: (١٥٦).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ص ٣٣١ .

أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٥١-٥٣].

ومودة الكفار سبب قادح في الإيمان بالله واليوم الآخر، كما أن مجانبتهم وعدم مودتهم من دلائل الإيمان، ومن أسباب التأييد من الله، قال تعالى: {لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: ٢٢].

وكما أن التشبه بالكفار يدل على المودة الظاهرة لهم فإن المودة من أشكال الموالاة لهم^(١)، وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من مولاة الكفار، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [المتحنة: ١٣]. ولقد سخط الله على بني إسرائيل لما تولوا الكفار، كما قال تعالى: {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠]. فيعلم من ذلك أن التشبه بالكفار قد يؤدي في النهاية إلى سخط الله جل في علاه.

٢- إن تقليد الكافرين ومحبتهم بتقليدهم في أفعالهم سبب لفوات اتصاف المؤمنين بمحبة الله لهم؛ فقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِعَمَلٍ مَّجْهُومٍ وَيُجْزِيهِ اللَّهُ عَمَلَهُ مَا كُنَّ تِلْكَ أَلْمُوتَةُ الْأُولَىٰ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ} [البقرة: ١٧٩].

٣- إن تقليدهم في الظاهر، يقود إلى موافقة هديهم الباطن، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضياً لذلك، إلا أن يمنع من ذلك مانع، وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه

(١) فإن الولاء معناه: النصرة والحمية والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً. انظر: الولاء والبراء في الإسلام، للشيخ محمد

بن سعيد القحطاني، الناشر: دار طيبة، ط ٦، ١٤١٣هـ: ص ٨٩-٩٠.

بمفارقة اليهود والنصارى باطنا أو ظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد، ومنها أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين" (١)؛ "وذلك لأن التقليد في الظاهر يؤدي إلى التقليد في الباطن ولو بعد حين، فالتقليد صلة روحية بين المقلد والمقلد، ووساطة انتقال لمعتقداته وأفكاره و(أيدولوجياته) إليه، إما بشكل مباشر دفعة واحدة، وإما بشكل تدريجي سريع أو بطيء كما يحدث في كل زمان ومكان بين كل مقلد ومقلد" (٢).

ويقول أ.د ناصر العقل: " فالمسلم الذي يتشبه بالكفار بأي نوع من أنواع الظاهر، في لباسه أو عاداته، أو حركاته، فإن ذلك في الغالب يدل على أن لديه شعور باطني -إن لم يجاهر به- بمودة من يتشبه بهم، فإن التشبه إنما يصدر عن إعجاب، وإحساس بتفوق الآخرين" (٣).

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٩٤/١ .

(٢) المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: (١٥٦).

(٣) د. ناصر العقل في مقدمة تحقيقه لاقتضاء الصراط المستقيم لا بن تيمية ص ٢٩ .

البدنية والروحية، ومن خالف شرع الله، فقد أجهد نفسه في ذلك وحملها ما لا تطيق فخابت حياته، وبئس مآله، كما قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ طَعَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات: ٣٧-٤١].

أما إذا نظرنا إلى المؤمنين فهم في طيب عيش في الدنيا، وحسن مآل في الآخرة، كما قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٧].

وقال سبحانه: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ } [محمد: ١-٣].

فكان الأولى بكل ذي لب أن يتمسك بالقيم الإسلامية تاركاً ما وراءه من القيم الغربية التي تبنيتها الحضارات الكافرة، فلا يعني تقدمهم في الجوانب المادية والصناعية ونحوها، أن نفتني أثرهم، ونبدل قيمنا النبيلة بقيمهم الفاسدة، فالحضارة الأمريكية -مثلاً- وإن تقدمت في بعض الجوانب المادية، إلا أنها تعيش أسوأ درجات الانحطاط الخلقي الذي ظهر فساداً واضحاً جلياً على الأفراد، والأسر والمجتمعات، لم لا والحضارة برمتها قامت على نبد الدين وكثير من القيم والأخلاق، والدعوة إلى فصل الدين بما حوى عن الحياة والدولة، فأبي حضارة هي، إذا فقدت أعز ما يحتاجه الإنسان، ومع هذا كله لا يزال تقليد المسلمين للكفار بالغا وملحوظاً في السلوك والعادات والقيم. وإن من الآثار التي تظهر في بدايات عملية التقليد عند المقلد هو تغييره لمظهره الذي يقتبسه من مظاهر المقلد، وعندما تبدأ عملية تقليد المسلم للكافر، خصوصاً إذا كان تدريجياً فإنه لا ينتج عنه تغيير الدين بالكلية أو التقليد في نواقض الدين، بل إن أغلب النماذج التاريخية تدل على أن المتأثر بالفكر الغربي يبدأ عملية التقليد شيئاً فشيئاً، فتجد أنه بعدما يعجب بحضارة الغربي، فإن أول ما يتأثر به السلوك والعادات، ومن ثم المظاهر والقيم حتى يصل حدّ الذوبان الذي يتشرب من خلاله المقلد أفكار المقلد حتى يخرج عن دائرة الإسلام إلى اعتناق الكفر -والعياذ بالله-.

من ذلك مثلاً ما حدث في تاريخ الدولة الإسلامية العثمانية، وذلك عام ١٨٣٩م في عهد السلطان محمود الثاني حينما جعل محمود من نفسه نموذجاً لاقتباس الغرب فظهر بمظهر العواهل الأوربيين، وقص لحيته وارتدى الطربوش، وكان أول سلطان يشهد الاحتفالات العامة والأوبرات، وحفلات رقص الباليه التي كانت تعرض داخل السفارات الغربية، كما استقدم الموسيقيين الأوربيين، وأنشأ فرقته الموسيقية الخاصة به التي أصبح بإمكانها أن تقدم أعمالها لضيوفه الأوربيين، حتى بدأ السلطان نفسه يتعلم اللغة الفرنسية^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً، وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق، والأعمال وهذا أمر محسوس، وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً أو ظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد، ومنها أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين"^(٢).

وأثر التقليد في سلوكيات شباب وفتيات المسلمين ظاهرة جليّة في زماننا، فلا تموت دعوة إلى موضة غريبة غريبة، إلا وتولّد أخرى في تفاهةً وتبعيّة عمياء، فكلما ظهر سلوك جديد طار خلفه المنهزمون، وضعاف النفوس من أبناء وبنات المسلمين، دون إدراك وتمحيص لهذه السلوكيات التي تخالف في كثير من أحيانه القيم الإسلامية، وتتناقض مع نصوص الوحيين، فوقع الكثيرون فيما حذّر منه -ﷺ- في قوله " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة"^(٣).

يقول أحد الدعاة المعاصرين^(٤): إن المجتمع المسلم إذا كان إمعة يلهث وراء سراب الغرّب ليؤلف نفسه على خلق جديد ينتزعه من المدنية الأجنبية عنه وعن دينه وتقاليده، فإن عليه أن يدرك جيّداً أن الخلق الطارئ لا يرسخ بمقدار ما يُفسد من الأخلاق الراسخة، فتتغيّر رجولة بعض رجاله، وأنوثة بعض نساءه، كل ذلك بسبب الاندفاع المحموم وراء المجهول في ساحة التقليد

(١) انظر: الدولة العثمانية لاسماعيل باغي: ١١٩ .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ٩٤/١ .

(٣) أخرجه البخاري [٣٤٥٦]، ومسلم [٢٦٦٩] .

(٤) د. سعود الشريم في خطبة الجمعة في الحرم المكي بتاريخ ١٦/٠٦/١٤٢٦هـ بعنوان التقليد والتبعية.

الأعمى، مهما كان لهذا التقليد من دواعٍ زُيِّفت أو زُيِّت ببريقٍ وتزويقٍ، ولمعانٍ يأخذ بلبِّ النَّظَّارِ لأول وهلة، فلا يلبث ويتلاشى سريعاً. وقد يمّا قيل:

فلا تَقْنَعْ بأول ما تراه ** فأول طالع فجرٌ كذوب.

يقول مصطفى الرافي: "وإذا كان لا بد للأمة في نهضتها أن تتغير، فإن رجوعنا إلى الأخلاق الإسلامية الكريمة أعظم ما يصلح لنا من التَّغْيِيرِ وما نصلح به" (١). كما قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١] وهل مثل هذا التَّغْيِيرِ إلا الأخلاق الإسلامية الحقّة؟ وهل في الأرض نهضة ثابتة تقوم على غير هذا التَّغْيِيرِ؟ كما قال سبحانه: {أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أُمَّتِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [الأنعام: ١١٤].

(١) وحي القلم: ١٦٥ .

المطلب الثالث : أثر التقليد على الحضارات والدول :

إن التقليد بصورته التي ندرسها في هذا البحث ليولّد أثراً بالغاً في حياة الدول والحضارات، فالدولة التي تقلّد الأخرى في كل شيء حتى وصلت حدّ التبعية، لترى فيها سمة واضحة ألا وهي :

- الجمود الفكري والحضاري : إن من أعظم نعم الله على عباده نعمة العقل التي يميّز الإنسان بها الخير والشر، والنافع والضار، فمتى ما استغل الإنسان تلك النعمة التي أودعها الله إياه استطاع التقدم في حياته، فهو حينما يتفاعل مع قيم الخير التي تدعو إلى الإنجاز والعمل، فإنه يتحول إلى إنسان متقدّم متفوق على غيره معتمداً على ذاته وإمكاناته، ومن ثمّ ينطلق هذا الإنسان في رحاب البناء والاعتماد على نفسه وقدراتها، في عمله وبناء مستقبله .

أما حينما يُوجد الإنسان لنفسه حاجزاً يحول بينه وبين الإنجاز والتقدم، فإنه يتحول إلى إنسان لا يأكل إلا من زرع الآخرين، ولا يعمل ويبنى إلا على أكتافهم، وهكذا يصبح هذا الإنسان في أموره كلها معتمداً على غيره في تنفيذها والقيام بها، وما يصح على الإنسان الفرد يصح على الإنسان الجماعة، فالمجتمع الذي يصنع لنفسه الحواجز النفسية والعملية التي تحول دون تقدّمه، يتحول إلى مجتمع استهلاكي، أما المجتمع الذي يسعى إلى الإنجاز، والابتكار، والإبداع وتفعيل ذلك في أبنائه، ويسعى في سبيل توفير حاجاته ومتطلباته، فإنه يتحول إلى مجتمع منتج .

من هنا فإن الاعتماد على الذات وترك التبعية والتقليد للآخرين، إنما يبدأ بالفكر والثقافة قبل الاقتصاد والسياسة، إذ إن الفكر المستقل سيصنع اقتصاداً مستقلاً يعتمد على واقعه . كما أن الفكر التابع أو الثقافة المهزومة مهما أوتيت من إمكانيات مادية لن تخرج عن إطار التبعية، ونقل الأفكار، والابتكارات، وحاجات الأفراد إلى أرضها .

وإذا كانت التبعية هي النتيجة الطبيعية لكل من توقف عن الابتكار والتقدم، وركن إلى التقليد فإن التخلف الحضاري والانحطاط الفكري، هو الناتج الطبيعي له سواء على المستوى الفردي أو الجماعي .

ولم يسجل لنا التاريخ أن أمة من الأمم أو شعباً من الشعوب، خضع لمشروع التبعية الحضارية واستمر في حفاظه على هيبته وإمكاناته، بل إنه في محل التندر بين الأمم وهو قائم على قاعدة

هزيلة قوامها التخلف العميق، والجمود الذي تعانيه تلك الأمة أو ذلك الشعب في ذاته وكيانه الداخلي والخارجي .

وهكذا كلما تضخم مستوى التقليد كلما سقط الإنسان في مهاوي التبعية، والاعتماد على الآخرين في كل شيء، وبطبيعة الحال فإن الاعتماد على الآخرين لا يقف عند حد معين، بل يستمر ويستفحل لدرجة وصول الإنسان إلى حد الاستلاب، وحينما يستلب عقل المرء ونمط تفكيره، يتحول إلى كائن استهلاكي لا هم له إلا إشباع بطنه، وتقليد الآخرين في صرعاتهم وموضاتهم .

وبهذا يخرج هذا الإنسان من الدورة الحقيقية للحياة، ويصبح ميت الأحياء لهذا، فإن إنهاء الجمود والتحرر من عقلية التقليد الأعمى، وتجديد العقل، والداخل في مختلف مجالاته، هو البداية الحقيقية للتخلص من مشروع الاستتباع والاستبداد الخارجي.

وإن الدول التي تبتكر وتبدع بين الفينة والأخرى، لهي محل هيبة بين الأمم التي تجاربتها، فبما أنها تقدمت في جانب معين، فلا يمنع من أن تأتي بشيء آخر يحطم ما لدى من يجاربتها من الأمم فتبقى هذه الدول لا تخاف، ولا ترتقب إلى من أحياتها اللواتي يشاركنها في التقدم والإبداع الجديد، أما التي لا تتقدم ولا تبتكر فهي محل استخفاف وتندر بين هذه الأمم المتقدمة، بل لا تعبأ لها ولا تلقي لها أي بال؛ لأنها في نظرها أمة تابعة سادتها التبعية، والاعتماد على الآخرين.

وعليه فالأمة الإسلامية متى ما كانت حياتها بهذه التبعية المقيتة، فإنها لن تصبح محل سيادة بين الأمم ، ومن ثم فإن كل ما تأتي به من معطيات الحياة الروحية والمادية لن يكون محل احترام لدى الأمم، ففاقد الشيء لا يعطيه، ومتى ما تقدم المسلمون في حضارتهم فإنهم بذلك يستعيدون أجداد أسلافهم، ومن ثم فسيتمكنون بذلك من تبليغ دين الله لغيرهم.

فالمسلمون في بلاد الأندلس -مثلا- كانوا محل سيادة واحترام بين الدول، فالحضارة التي بلغوها أعطتهم مكانة رفيعة بين الأمم، فكان المسلمون في بلاد آنذاك يشكلون مصدر الحضارة العلمية، والرقي والتميز العلمي والعملية الذي دعا سائر الأمم إلى الانبهار والإعجاب بهذه الحضارة الإسلامية، فكانت الأمم تحاول أن تتعلم منهم ، إذ إن المسلمين كانوا في الدرجة العليا التي تفرض على سائر الأمم اتباعهم ومجاراتهم، فسعت الأمم الغربية آنذاك إلى عقد اتفاقيات مع

المسلمين لإرسال البعثات الغربية إلى بلاد الأندلس ليتعلموا منهم العلوم المختلفة، فكانت الأمة الإسلامية متبوعة لا تابعة.

فمن البعثات التعليمية المبكرة تلك البعثة التي أرسل بها ملك إنجلترا جورج الثاني وهي بعثة إلى بلاد الأندلس، مكونة من بنات النبلاء والأشراف، وفي مقدمتهم الأميرة دوبا نت ابنة أخيه، ووجه معهن خطابا إلى الخليفة الأموي يقول فيه: "أردنا لأبنائنا اقتباس حضارتكم لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر نور العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل" (١).

وواضح من خطاب ملك إنجلترا تلك اللغة التي عبر عنها بـ (اقتفاء) أثركم ، ويعني بذلك إقراره بأن المسلمين في بلاد الأندلس يعيشون في الدرجة الأعلى، بينما بلاد إنجلترا كانت آنذاك على عكس بلاد الأندلس لذا عبر عنها بقوله: لنشر نور العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل. حتى بلغت هذا البعثات سنة ٣١٢هـ في عهد الخليفة الناصر ما يربو على سبعمائة طالب وطالبة، وكان من بين تلك البعثات بعثة علمية فرنسية برئاسة الأميرة إليزابيث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا آنذاك (٢).

وعلى الضد من هذه السيادة والاحترام، ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم إبان تخليها عن دين الله، وكتابه القويم الذي يأمر بالتقدم، والعمل، والرقي الفكري، والحضاري . ومن هنا يتبين لنا أثر التقليد على الحضارات، والدول في شتى مجالات الحياة الفكرية، والثقافية والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وفي مجالي التقنية والإبداع، وفي شتى مجالات احتياجات الإنسان المعاصر .

ولن تصلح حال الأمة ما لم تفق من سباتها وتستلهم حضاراتها من كتاب الله العظيم ومن هدي محمد ﷺ - والأخذ بقيم الخير التي تدعو إلى العمل والتقدم والقوة في الدين والدنيا .

(١) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف : ص ٦٤٤ .

(٢) نفس المرجع السابق: ص ٥٣٣ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمدته سبحانه ذو الفضل والجود، وأشهد أن لا إله سواه، وأن محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه - صلى الله وسلم وبارك عليه - وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

ثم أما بعد :

فإن القارئ لمفهوم التقليد يدرك جلياً ارتباط هذا المفهوم بأمر ثلاثة : الأول إرتباطه بالإنسان ، فهوم قدسم قدم الإنسان. والثاني : إرتباطه بالسلوك والفكر، فهو يرتبط بهذا في عملية تفاعلية بين الناس، المتبع والمتبع وكل الناس إما تابع أو متبوع ، ولا يخلو من يتبع أو يتبعه غيره إما من الناحية القانونية ، كاتباع المحكوم للحاكم واتباع الحاكم للحاكم أعلى منه، أو من الناحية الإعتيادية كاتباع الطفل لوالديه والزوجة لوالدها ، أو من الناحية التقليدية، كتقليد المفضل للفاضل في جميل الأفعال أو قبيحها. والثالث : إرتباطه بالدين ، فالتقليد باب وقف الشارع حارساً عنده، ليصد من يلج إليه غفلة من غير إدراك أبعاده، إذ أن الداخل إليه قد لا يدرك أنه بهذا كواضع قلادةً على عنقه، فهو إذا لم يكن دخوله على نور وهدى ضل وغوى .

فتبين من هذه الجوانب الثلاثة أهمية هذا المفهوم واتساعه وشموله لنواحي الحياة، لذا فالسعيد من وفق في حياة ووافق في هديه هدي محمد - ﷺ - والشقي من ضل وغوى وسار خلف دعاة الضلال والتغريب ووقع في المخالفة الصريحة لشرع الله القويم . فالحذر كل الحذر من السير خلف أئمة الغرب التي سقطت في وحلها الكثير من أبناء المسلمين اليوم ، عبر بوابة التقليد، والتبعية إلى بوابة التشبه المطلق ، ومن ثم تحول الأمر من كونه تقليداً قاصراً على نفسه إلى الدعوة إليه .

وبعد أن بينا في هذا البحث مفهوم التقليد وأهم ما يتعلق به كمفهوم أود أن أذكر في نهاية المطاف بعض أهم النتائج والتوصيات التي من شأنها أن تحقق أهداف الدراسة هذه :

أهم النتائج :

- ١- تبين لنا أن التقليد : هو اتباع الآخرين في فكرة أو سلوك من غير إدراك ولا تأمل، وبهذا فهو يشتمل على جانبيين الجانب السلبي والإيجابي، أما الإيجابي فهو أخذ مع إدراك، والسلبي فهو أخذ من غير إدراك ولا تأمل .
- ٢- كما تبين لنا أن الإتياع في الحق لا يعتبر تقليداً .
- ٣- كما تبين لنا أن اتباع الأنبياء والرسل لا يعتبر تقليداً بل هو اتباع.
- ٤- اتساع مفهوم التقليد، فيدخل فيه كل المفاهيم الثلاثة ذات الصلة وهي التبعة والتشبه والمحاكاة .
- ٥- أن المفاهيم الثلاثة ذات الصلة بالتقليد وهي التشبه والتبعية والمحاكاة، كلها تشتمل على معنى سلبي وإيجابي إلا التبعية فإنها صفة للتقليد المذموم المصحوب بالانهزامية.
- ٦- أن التقليد منذ نشأته اشتمل على ثلاثة جوانب الأول : (التقليد الطبيعي في حياة الإنسان) وهذا الذي نشأ مفهوم التقليد بمعناه. الثاني: (التقليد بمعنى التقليد في الشرع أو المذهب). الثالث : التقليد في اصطلاح المفكرين الإسلاميين .
- ٧- أن نشأة مفهوم التقليد قديمة قدم الإنسان، وقد مرّ هذا المفهوم بمراحل على مر التاريخ البشري أعطته أبعاداً مختلفة منذ خلق الله آدم إلى يومنا هذا ، وقد بينا أن النشأة الأولى لمفهوم التقليد كانت في التقليد الطبيعي بجانبه الإيجابي، وذلك مع إحدى ابني آدم حينما قتل أخيه، فقلد الغراب في طريقة دفن الميت.
- ٨- أن أول تقليد حدث في الأرض كان في التقليد الطبيعي بجانبه الإيجابي ، ثم حدث التقليد بجانبه السلبي، وذلك في قوم عاد مع نبي الله هود -عليه السلام- كما في قوله تعالى: { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ... } إلى أن قال سبحانه: { قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [الأعراف: ٦٥-٧٠].
- ٩- أن أول منحى أخذه مفهوم التقليد بعد ذلك في عهد الفلاسفة اليونانيين فأعطى أبعاداً إضافية على كونه عندهم غريزة عند الإنسان إلى كونه موافقة لما عند المثل، وفقاً لاهتمامهم بالفلسفة .

- ١٠- أن الإسلام لما جاء أعطى مفهوم التقليد بعداً متزنًا، فضبطه وبين محاذيره، وما يجوز منه مما لا يجوز، ومن يجوز الأخذ منه ممن لا يجوز اتباعه .
- ١١- أن التقليد في دائرة الإسلام أخذ بعداً مهمًا في القرن الرابع الهجري، وذلك بعد أن انتشر التقليد في المذاهب، فأطال العلماء فيه حديثاً بعد أن دعت الحاجة إليه، وأخطأ البعض فيه. والتقليد في هذه المرحلة يقصد به : اتباع العامي للعالم في مسألة أو حكم من النوازل مما لم يرد عليه دليل صحيح صريح .
- ١٢- أن التقليد وصل في زماننا هذا إلى بُعد مهم عند المفكرين الإسلاميين وهو : عملية اتباع المسلم للكافر، وانقياده وراء الفكر الغربي من غير إدراك ولا تأمل ولا وعي لما ينجر وراءه مما يتعارض مع الدين، في شتى مجالات الحياة .
- ١٣- أن التقليد منه ما يحرم، ومنه ما يجوز، فما كان موافقاً لله وما جاء به أخذ به، وما خالفه فلا يجوز الأخذ به .
- ١٤- جواز أخذ العلوم الدنيوية من الكفار إذا لم تخالف شرع الله، ولم تكن ذريعةً إلى مخالفة شرع الله، ولم يكن في اقتباسها انهزامية، ولم يوجد في المسلمين مثلها أو بديلاً عنها .
- ١٥- أن في التقليد والتبعية مفسدة في الدنيا والآخرة، فصاحبه على خطر في دينه ودنياه.
- ١٦- أن للتقليد والتبعية أثر بالغ على عقيدة المسلم وإيمانه بخالقه تبارك، فمن قلّد في الظاهر جره ذلك إلى التقليد في الباطن .
- ١٧- لا يوجد مصدر سليم لقيم الإنسان وسلوكياته سوى شرع الله القويم، فالنفس خلق الله، والشريعة من عند الله فهو الذي خلق النفس وهو سبحانه أدرى بما يصلح روحها وبدنها، ودنياها وآخرتها، فلا تستقيم هذه النفس بغير الأخذ من شريعة الله وحده . فمن أخذ القيم والسلوك من غيرها تعس وشقي في الدارين .
- ١٨- للتقليد أثر بالغ وملحوظ على سلوكيات بعض شباب المسلمين وفتياتهم، فالموضات الغربية والغربية أكثر من أن تعد .
- ١٩- أن التقليد له الأثر الواضح في حياة الدول وحضاراتها، وتحديد مكانتها بين سائر الأمم والدول .

- ٢٠- أن من أهم آثار التقليد على الدول والحضارات، أنه يورث جموداً فكرياً وحضارياً يضيف الدول الإسلامية أمام غيرها، ويجبسها عن تأمين مستقبلها.
- ٢١- أن من أهم آثار التقليد على الدول أنها لا تستطيع بذلك إيصال ما لديها من الفكر، ففاقد الشيء لا يعطيه، وذلك يعني أن الدول الإسلامية لن تستطيع أن تبلغ دين الله للناس .

أهم التوصيات :

- ٢٢- تربية النشء على الأخذ بدين الله القويم، والتأمل في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فإن في ذلك تقوية لثقتهم بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - مما يعني اقتصارهم على استمداد حاجتهم منه ، فلم التقليد وفي كتاب الله ما يغني ولو تمسك الناس بكتاب الله وشريعته لما لجأ الناس إلى التقليد .
- ٢٣- على المؤثرين، وصناع القرار أن يسعوا عبر ما في أيديهم من الوسائل، إلى إبراز ما لدى المسلمين من إمكانيات، وما في دين الله من التوجيهات في شتى مجالات الحياة التي تلبي حاجة الإنسان المعاصر، مثل إظهار نظام اقتصادي إسلامي، أو نظام أسري، أو طب نبوي .. الخ) ؛ ليدرك المسلم وغيره أن لديه المصدر الذي يعلو ولا يعلى لتلبية احتياجات الفرد والجماعة ، ولينتفي بذلك التقليد ، فالذي يدرك من أبناء المسلمين أن لديه ما يغنيه فلن يقلد .
- ٢٤- على المؤثرين وصناع القرار من المسلمين، أن يمنعوا التلميع السخيف الذي يجر إلى السعي إلى كل ما وراء الكافر دون أدنى تقصي أو تمحيص، وأن يأخذوا على يد الدعاة إلى ما عند الغرب، فإن الدعاة إلى التغريب من أبناء المسلمين أشدُّ أثراً على المسلمين من أرباب الكفر نفسه، لما في ذلك من التأثير البالغ الذي يجر إلى تقليد المسلم للكافر وسلوكياته، وأخلاقه، وعقيدته.
- ٢٥- معالجة السلوكيات الغربية والغريبة التي انتشرت بين أبناء المسلمين اليوم، فالذي يؤخذ بهذه السلوكيات المقتبسة من سلوكيات الغربيين، فهو قلدهم في ظاهرهم وهذا يجر إلى تقليدهم في باطنهم .

٢٦- تعزيز الهوية الإسلامية، وتعزيز التمسك بها، فلا يتمسك الفرد من أبناء المسلمين
بالهوية الإسلامية ويحافظ على هويته، إلا ويزداد قرباً مما عند الله، ولا يتخلى عنها
أو يقصّر في تمسكه بها، إلا ويبدأ بالأخذ بما عند الغرب سلوكاً وفكراً .

٢٧- إنشاء مراكز الدراسات البحثية، ودعمها بكل الإمكانيات؛ لإثراء الساحة الإسلامية
بالعلوم النافعة، التي تلبي احتياجات الإنسان المعاصر، والتي تقدم للعالم كل
الإمكانيات الفكرية، والابتكارات العلمية فهي تشكل مصدراً مهماً للرقى والتقدم،
والتحضر، ومجارة الغير، ونبد التقليد .

٢٨- تبني طاقات الشباب المسلم، من مخترع، أو مفكر، أو مبدع، فالذي يأتي بفكرة ليست
عند الغير فهو يدفع عجلة عربة "نبد التقليد"، وما أجمل أن تدعم هذه العربة
وتسخر لها الإمكانيات؛ ففي ذلك دعم لمسيرة الحضارة الإسلامية ومن ثم يحصل
التقدم والرقى بالأمة الإسلامية وتفوق حضارتها على سائر الأمم.

٢٩- إيجاد البديل المناسب للمسلمين، لتقل دائرة الاعتماد على ما عند الكفار من
متطلبات الحياة، فضعاف النفوس المنهزمين أمام الكافر، لم يدفعهم ذلك إلا بعد
أن افتقدوا ما لدى المسلمين، وإن كان الواجب عليهم أن يأخذوا مما عند الكفار
دون أدنى انهزامية .

٣٠- إثراء الساحة الإسلامية بتاريخ الأجداد ، والحضارة الإسلامية التي بناها الأجداد،
ليعي الفرد المسلم أن غير علم من العلوم الطبيعية المعاصرة، يعود مؤسسوها إلى
الحضارة الإسلامية ، فكثير من أبناء المسلمين اليوم لا يدرك هذا، فإنه إن علمه
شعر بشيء من الرفعة بين الناس، خصوصاً إذا كان في معرض مجاراته بغيره من
الأمم، فمتى ما وعى ذلك، فإن عليه أن يحذو حذو آبائه وأن ينهج نهجهم في
تقديم العلوم النافعة، ليدفع بذلك عجلة "نبد التقليد" .

٣١- دعم الدعوة والدعاة المصلحين، فالدعوة إلى الله من أعظم الوسائل التي تقلص من
دائرة التقليد، فمتى كان الإسلام متبوعاً انتفى التقليد، فلو دخل في الإسلام المبدع
والمفكر والمخترع، لدفع الأمة الإسلامية ولرقى بها بانتمائيه إليه، ولصارت الأمة
متبوعة لا تابعة .

وقد يسر الله لنا في هذا البحث أن بيّنا فيه مفهوم التقليد وأبعاده وآثاره، راجياً كاتبه أن يدرك المسلم أنه على خطر إذا لم يعيبي في عملية تقليده من يتبع وفيما يُتبع، فلا سير خلف داعي أو منادي ما لم يكن في ذلك موافقاً لهدي الله وهدي رسوله.

حفظ الله على المسلمين عقديتهم، وحفظ الله للأمة مكانتها، وأصلح الله حال شباب الأمة وفتياتها.. آمين . هذا وما كان من صواب فمن توفيق الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان .

الباحث

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }	٣٨	٢٩
{ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }	١٠٥	٧٨
{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }	١٠٩	٧٨
{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ }	١١٣	٢٢
{ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }	١٢٠	٨١، ٣٣
{ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }	١٤٤	٣١
{ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ }	١٤٥	٣٣
{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ	١٤٦	٣١

الآية	رقمها	الصفحة
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {		
{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا	١٦٤	٨٤
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ {	١٧٠	٣٠، ٢٥ ٦٢
{ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {	٢١٧	٨١
{ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ { ١٦٦ } وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّرْنَا فَنَتَّبِعَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا {	١٦٦، ١٦٧	٨٢
سورة آل عمران		
{ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ {	٢٠	٢٩
{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {	٣١	٢٨
{ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آتَاكَ اللَّهُ وَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ {	٥٣	٢٨
{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ {	٦٨	٢٨
{ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {	٧٨	٣٢
{ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ	٩٥	٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
{ الْمُشْرِكِينَ }		
{ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }	١٦٢	٢٨
{ فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ }	١٧٤	٢٨
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُورًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }	١٨٣	٧٨
{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ }	١٩٠	٢٤، ٢٦، ٨٤
سورة النساء		
{ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا }	٢٧	٣٣
{ فَإِن تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }	٥٩	٢٥، ٣٨
{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }	١١٥	٣٢
{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }	١٢٥	٢٩
{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا }	١٥٧	٧٣
{ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ }	١٦٥	١، ٢

الآية	رقمها	الصفحة
بَعْدَ الرُّسُلِ {		
سورة المائدة		
{ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }	١٦	٢٩
{ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ }	٣١	٤٦
{ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ }	٣١	٤٧
{ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ }	٤٨	٣٣
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }	٥١	٧٨
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }	٥٤	٨٦
{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي }	٢٧ - ٣١	٤٥

الآية	رقمها	الصفحة
أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) {		
{ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ {	٨٠	٨٦
{ وَالْمُهَيَّبِ وَالْقَلَائِدِ {	٩٧	٩
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ {	٥٢ ، ٥١	٨٥
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائُهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ {	١٠٤	٦٣ ، ٣٠
سورة الأنعام		
{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ {	٣٣	٣٢
{ قُلْ إِنِّي مُهَيَّبْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ {	٥٦	٣٣
{ أَتَّبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {	١٠٦	٦٠ ، ٢٩

الآية	رقمها	الصفحة
{ أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَبَتْنِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }	١١٤	٩٠، ٣٢
{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }	١٥٣	٢٨
{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }	١٥٥	٦٠، ٢٨
سورة الأعراف		
{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا مَا وَعَدْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }	٦٥ - ٧٠	٤٧
{ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ }	٣	٦٠، ٢٨
{ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }	٧٠	٣٠
{ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }	١٥٧	٦٢، ٢٨
{ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ }	١٥٨	٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {		
{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ {	١٧٦	٣٣
{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ {	١٧٩	٨٤
{ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ {	٢٠٣	٦٠
سورة الأنفال		
{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {	٦٤	٢٩
سورة التوبة		
{ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ {	١٢٢	١٥، ٢٦، ٣٨
سورة هود		
{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ {	٥٩	٣٠
{ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {	٦٢	٣٠، ٤٨
{ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ {	٨٧	٤٨
{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ {	٩٧	٣٠، ٤٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة يوسف		
{ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }	٣٨	٣١
{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }	١١١	٧٨
سورة الرعد		
{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }	١١	٩٠
{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَعِنَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ }	٣٧	٧٨
سورة إبراهيم		
{ وَبَرَّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا }	٢١	٦٠
{ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَمُورٌ رَّحِيمٌ }	٣٦	٥٩
سورة النحل		
{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }	٤٣	١٥ ، ٢٥ ، ٣٨
{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }	٨٣	٣٢
{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }	٩٧	٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإسراء		
{ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا }	٦٣	٦٠
{		
سورة الكهف		
{ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا }	٢٨	٣٣
سورة مريم		
{ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا }	٥٩	٣٣
سورة طه		
{ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي }	٩٠	٢٩
سورة النور		
{ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ }	٤٤	٢٤
{ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }	٦٣	٦١
سورة الشعراء		
{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاقِبِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }	٦٩ - ٧٤	٤٨، ٣٠
{ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ }	١٥١، ١٥٢	٤٨

الآية	رقمها	الصفحة
{ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }	٢١٤	٣٥
{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }	٢١٥	٥٩ ، ٢٩
{ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ }	٢٢٤	٣٠
سورة النمل		
{ وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }	١٤	٣١
سورة لقمان		
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ }	٢١	٣٠
سورة الأحزاب		
{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }	٢١	٨٨
{ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا }	٦٧	٤٠ ، ٣٠
سورة سبأ		
{ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }	٢٠	٣٠
سورة يس		
{ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مِن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) }	٢١ ، ٢١	٢٩
{ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }	٧٩	٨٨
سورة غافر		
{ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا	٤٧	٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِّنَ النَّارِ {		
سورة الزخرف		
{ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ {	٢٢	٢٣ ، ٤٤
{ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ {	٢٣	٤٠
سورة محمد		
{ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) .	٢ ، ١	٨٨
{ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ {	٣	٢٦
{ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُرِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ {	١٤	٣٣
{ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ {	١٦	٣٣
(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) {	٢٥ ، ٢٦	٧٧
سورة ق		
{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْمَ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ {	١٦	٨٨
{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ {	٣٧	٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الذاريات		
{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }	٥٦	٦١
سورة القمر		
{ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ }	٣	٣٣
سورة المجادلة		
{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ }	٢٢	٨٦
سورة الحشر		
{ يُخْرِجُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }	٢	٧٨
{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا }	٧	٢، ١
سورة التغابن		
{ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }	٨	٦٢
سورة القلم		
{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }	٤	٨٧
سورة نوح		
{ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا }	٢١	٣٠
سورة المدثر		
{ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ (٢٣) }	١٨ -	٣٢
{ ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ (٢٣) }	٢٥	

الآية	رقمها	الصفحة
وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ {		
{ سَأُضْلِيهِ سَقَرًا (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوْ آخِذٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) }	٢٦ - ٣٠	٣٢
سورة النازعات		
{ فَأَمَّا مَنْ طَعَى (٣٧) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }	٣٧ - ٤١	٨٨

فهرس الأحادس النبوة

الصفحة	الحديث
٣٥	ارجعوا إلى أهلكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي
٨٧	أركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي
٤١	استأجر النبي - ﷺ - وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي وهو على دين كفار قريش
٤١	أن النبي - ﷺ - أخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق
٣٥	أن النبي - ﷺ - خرج حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق فقام الناس ينحرون ويحلقون
٣٥	أن النبي - ﷺ - صعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا
٨٧	إن خياركم أحاسنكم أخلاقا
١١	أن رسول الله - ﷺ - قدم المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف
٧٩	إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها
٨٧	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
٥٠	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا
٣٩	الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله
٧٩	خالفوا المشركين احفوا الشوارب وأوفوا للحي
٣٨	قتلوه قتلهم الله، إنما كان شفاء العي السؤال
٣٦	لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع
٣٤	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين

الصفحة	الحديث
٥٠، ٣٦ ٥٢	لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه
٦٤، ٢٥	لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القدّة بالقدّة، شبراً بشبر وذراعاً بذراع
٦٦	ما سرّني أيّ حكيّت إنساناً وأنّ لي كذا وكذا
٧٦، ٧٥ ٧٩	من تشبه بقوم فهو منهم
٦١	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
٣٤	والذي نفسي بيده لو أمرت أن نخيضها البحر لأخضناها

فهرس الآثار

الصفحة	صاحب الأثر	الأثر
٨٤	أبو الدرداء	تفكر ساعة خير من قيام ليلة
٣٩	ابن مسعود	يقلدن أحدكم دينه ، رجلا، فإن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر
٦٢	سعيد بن جبير	لا يقبل عمل إلا بنية موافقة للسنة

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
٥١	إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية
٩	إبراهيم محمد بن البغدادي (الزجاج)
٤٦	أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن خالد المالكي
٦٩	أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد
٣٩	أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري
٣٨	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي
٦٩	أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي
٧٧	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية
٧٥	أحمد بن عبد الله بن مفرج بن بدر الدين الغزي
٣٦	أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني
١٨	أرسطو طاليس
٣٩	إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو المزني
١٧	أفلاطون
١٦	جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المالكي
٦٠	سليمان بن الأشعث السجستاني
٧٥	عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي
٢٠	عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون
٥١	علي بن سعيد بن حزم الأندلسي
١٥	علي بن محمد أبو الحسن الحنفي
١٦	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي
٩٦، ٢٥	محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي

الصفحة	العَلَم
٩٦	محمد بن محمد الغزالي
١٠	همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي
٢٧	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي

فهرس الألفاظ

الصفحة	اللفظ
٧٣	القيثارة
١٧	البرونز

فهرس المراجع والمصادر:

أولاً :

١. القرآن الكريم .

ثانياً : التفاسير:

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ، إشراف بكر أبوزيد ، الطبعة الأولى دار عالم الفوائد ١٤٠٥ هـ

٣. تفسير القرآن العظيم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ) تحقيق سامي بن محمد السلامة ، الطبعة الثانية لدار طيبة ١٤٢٠ هـ

٤. الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، المؤلف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط الأولى الناشر: مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦.

ثالثاً : كتب الحديث الشريف :

٥. الجامع الصحيح المعروف ب سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مطابع الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ

٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ - وسننه وأيامه، المسمى بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ

٧. سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر : دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

٨. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله ابن ماجه (ت٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية في بيروت.

٩. السنن الكبرى ، المعروف ب سنن النسائي ، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر : مؤسسة الرسالة ببلنابان ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

١٠. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر من السنن نقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ - المسمى بـ صحيح مسلم ، للحافظ أبي الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) اعتنى بالطبعة نظر محمد الفاريابي ، الناشر : دار طيبة. الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ
١١. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) لأحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا. الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت- ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ
١٢. مسند الدارمي ، المعروف بـ سنن الدارمي ، للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ) تحقيق : حسين سليم الداراني ، الناشر : دار المغني ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف على النسخة : محمد زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ
١٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر : مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
١٥. صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
١٦. صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
١٧. صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

رابعاً الكتب:

١٨. الإتحافات السنّية بالأحاديث القدسية، لعبد الرؤوف بن تاج العابدين بن علي المناوي، تحقيق: محمد عفيف الزعبي، الناشر: مؤسسة الزعبي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.
١٩. أحكام القرآن، لمحمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، راجعه وخرّجه محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ببلنّان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.
٢٠. الإحكام في أصول الأحكام، للإمام علي بن أحمد بن حزم (توفي سنة ٤٥٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ.
٢١. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (توفي سنة ٥٠٥هـ) الناشر: "كرياطه فوترا" في إندونيسيا.
٢٢. أصول التاريخ العثماني، أحمد عبد الرحيم مصطفى، الناشر: دار الشروق. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
٢٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم، تعليق وتخرّيج مشهور بن حسن السلّمان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. الناشر: دار ابن الجوزي.
٢٤. اقتضاء الصراط المستقيم. لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (توفي سنة ٧٢٨هـ) تحقيق أ.د ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٢٥. البحر المحيط في أصول الفقه. لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٤٥-٧٩٤هـ)، تحقيق عبد القادر عبد الله العاني، راجعه د.عمر سليمان الأشقر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالكويت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٢٦. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، للإمام محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي.
٢٧. تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، للحافظ علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥١٧هـ) تحقيق: عمر بن غرامة العمروي. الناشر: دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٨. التراجم والفلسفة، والتركاو فمان، ترجمة كامل يوسف حسين، الناشر: المؤسسة العربية

- للدسات والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٩. تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، لأبي الوليد بن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ) تحقيق
د. محمد سليم سالم . الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، لجنة إحياء التراث
الإسلامي عام ١٣٩١هـ.
٣٠. جامع بيان العلم وفضله ليوستف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق : أبي الأشبال الأزهرى،
الناشر : دار ابن الجوزى . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
٣١. جمهورية أفلاطون. د. أميرة حلمي مطر، الناشر : وزارة الثقافة والإعلام بمصر مهرجان
القراءة للجميع ٩٤ بمصر. طبعة عام ١٤١٩هـ.
٣٢. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي ، وهو شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي
بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد
الموجود، دار الكتب العلمية ببلنات الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٣٣. حسن التنبه لما ورد في التشبه، للإمام محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الشافعي (ت
٩٧٧هـ) تحقيق : نور الدين طالب . الناشر: دار النوادر الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
٣٤. الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . د. إسماعيل أحمد ياغي . الناشر: مكتبة
العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٣٥. السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، (٢١٣-٢١٨هـ) تعليق وتخرىج: عمر عبد
السلام تدمري ، الناشر: دار الكتاب العربي ببلنات . الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.
٣٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الحافظ أبو القاسم هبة الله الطبري اللاكائي،
(توفي ٤١٨هـ) تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر: دار طيبة الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ.
٣٧. شرح ديوان الفرزدق، تحقيق إيليا الجاوي ، الناشر : دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة
ببلنات ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ
٣٨. العلمانية في الإسلام ، إنعام أحمد قدوح ، الناشر : دار السيرة ببلنات الطبعة ١٤١٥هـ
٣٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق
الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز الناشر: دار المعرفة ببلنات، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.
٤٠. فن الشعر لأرسطو، ترجمة إبراهيم حمادة، الناشر : مكتبة الأنجلو، الطبعة الأولى.

٤١. القاموس المحيط، للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ
الطبعة الثامنة عام ٢٠٠٥ م ، الناشر : مؤسسة الرسالة، تحقيق مؤسسة الرسالة بإشراف محمد
نعيم العرقسوسي.
٤٢. القواعد والضوابط الفقهية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في الأيمان والنذور، د.محمد بن عبد
الله التمبكتي الهاشمي، الطبعة الأولى، المكتبة الكية عام ١٤٢٧ هـ
٤٣. الموسيقى الكبير للفارابي ، تحقيق: عطاس عبد الملك خشبة، الطبعة الأولى ، الناشر : دار
الكتاب العربي بالقاهرة .
٤٤. المعجم الوسيط ، تأليف : مجمع اللغة العربية في مصر، الطبعة الرابعة ، مكتبة الشروق
الدولية ١٤٢٤ هـ.
٤٥. مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، الناشر : مكتبة
لبان ١٩٨٦ م
٤٦. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (توفي
٦٣٠ هـ) تحقيق: روحية النحاس ، رياض مراد، محمد مطيع، الناشر : دار الفكر، الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ

- ٤٧ . معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية د. أحمد زكي بدوي ، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ.
- ٤٨ . معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، علم النفس، للدكتور : سميح عاطف الزين، الناشر: دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٤٩ . مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادى، الناشر: الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ٥٠ . منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل ، تأليف جمال الدين أبي عمرو، عثمان بن عمر بن أبي بكر المقرئ النحوي الأصولي الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب المولود (توفي ٦٤٦هـ) الناشر: مطابع السعادة في مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ .
- ٥١ . موسوعة عالم علم النفس، للدكتور عبد المنعم حنفي ، الناشر: دار نوبليس، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ٥٢ . موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب جيرار جهامي ، الناشر : مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- ٥٣ . نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد . د.ألفت كمال الروبي الناشر : دار التنوير بلبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٥٤ . النقد المسرحي عند اليونان ، د.عطية عامر، الناشر المطبعة الكاثوليكية بيروت ، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.
- ٥٥ . نوابغ الفكر الغربي (أفلاطون) ، بقلم د. أحمد فؤاد الأهواني الناشر : دائرة المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.
- ٥٦ . هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بلبنان ، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.
- ٥٧ . الوزراء والكتّاب ، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (توفي سنة ٣٣١)، تحقيق : عبد الله إسماعيل الصاوي الناشر : المكتبة العبرية ببغداد . الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.
- ٥٨ . الواضح في علم الصرف، د. محمد خير الحلواني، الناشر : دار المأمون للتراث بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٥٩. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، راجعه د. درويش الجويدي، الناشر: المكتبة العصرية بلبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

الرسائل العلمية والبحوث:

٦٠. أثر التقليد المذموم في الدعوة، لمحمد غالب حسان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في

قسم الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤٢٨هـ

بعض مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث و أثرها على المسلمين، أشرف بن عبد الحميد بارقعان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة في جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.

٦١. التدابير الواقية من التشبه بالكفار، عثمان دوكري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم

الدعوة بجامعة الإمام ١٤١٨هـ

٦٢. التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، أ.د ناصر العقل، بحث لنيل الدرجة العالية

في كلية الشريعة بجامعة الإمام، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة عام ١٣٩٤هـ

٦٣. الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، رسالة مقدمة لنيل

درجة الدكتوراه في قسم التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٦هـ

٦٤. نظرية باندورا للتعلم الاجتماعي المعرفي بالملاحظة، إعداد يحيى الرفاعي، بحث في برنامج

الدكتوراه، قسم علم النفس بالكلية المتوسطة في أبحا .

٦٥. نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر، مديونة صليحة، رسالة لنيل درجة الماجستير في الأدب

العربي وعلم الجمال بجامعة أبي بكر بالجزائر ١٤٢٦هـ

٦٦. الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي،

الناشر: دار طيبة، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ، رسالة مطبوعة وهي مقدمة لنيل درجة

الماجستير في جامعة أم القرى عام ١٤٠١هـ .

الخطب والمقالات :

٦٧. خطبة للشيخ الدكتور: سعود الشريم، في خطبة الجمعة في الحرم المكي بتاريخ
١٤٢٦/٠٦/١٦ هـ بعنوان التقليد والتبعية.

٦٨. مقال في التقليد في علم الاجتماع، د عبدالمجيد نيازي -وكيل قسم الاجتماع والخدمة
الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود - في صفحة على الإنترنت على الموقع التالي:
<http://faculty.imamu.edu.sa/css/atniyazi/Pages/3b1f0538-9f9c-456e-a7b5-c5a003a2e4ef.aspx>

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة :
٣	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٣	أهداف البحث
٤	الدراسات السابقة
٥	منهج البحث
٦	تقسيمات البحث
٨	شكر وتقدير
٩	إهداء
١٠	المبحث الأول: دلالات مفهوم التقليد وتأصيله :
١٠	المطلب الأول: الدلالات اللغوية
١٦	المطلب الثاني: الدلالات الاصطلاحية
٢٨	المطلب الثالث: تأصيل مفهوم التقليد في الشرع
٤٦	المبحث الثاني: نشأة وتطور مفهوم التقليد .
٥٧	المبحث الثالث: مفاهيم ذات صلة :
٥٧	المطلب الأول: مفهوم التبعية
٦٧	المطلب الثاني: مفهوم المحاكاة
٧٥	المطلب الثالث: مفهوم التشبه
٨٦	المبحث الرابع: آثار مفهوم التقليد :
٨٦	المطلب الأول: أثر التقليد على العقيدة والفكر الإسلامي
٩٠	المطلب الثاني: أثر التقليد على السلوك والعادات والقيم
٩٤	المطلب الثالث: أثر التقليد على الحضارات والدول
٩٧	الخاتمة :
٩٨	النتائج
١٠٠	التوصيات

١٠٣	فهرس الآيات القرآنية
١١٦	فهرس الأحاديث النبوية
١١٧	فهرس الآثار
١١٨	فهرس الأعلام
١١٩	فهرس الألفاظ
١٢٠	فهرس المصادر والمراجع
١٢٧	فهرس الموضوعات